
أجاثا كريستي
الحب
الذي قتل

الحب الذي قتل

أجاثا كريستي

الحب الذي قتل

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان
ص.ب: ٨٧٣٢

الفصل الاول

البداية

اعتادت مس جين ماربل أن تقرأ جريدتها الثانية بعد الظهر .

كان موزع الصحف يحمل اليها جريدتين كل صباح ، فاذا جاء في الوقت المناسب قرأت الجريدة الأولى وهي ترتشف قدحها المبكر من الشاي . ولكن الموزع كان معروفاً باضطراب مواعيده، وكثيراً ما كان يحل محله موزع جديد ، أو بديل مؤقت له ولكل موزع خط سيره الخاص ، الذي يعتقد أنه يجنبه ملالة (الروتين) . ولكن العملاء الذين تعودوا قراءة الصحف في وقت مبكر للالمام بالأنباء الهامة والمثيرة قبل أن يستقلوا الأوتوبيس أو القطار أو غيرهما من وسائل المواصلات إلى مقار أعمالهم .. يضايقهم أن تصل الصحف متأخرة ، أما العجائز من نساء قرية (سانت ماري ميد) . فكن يؤثرن قراءة الصحف على مهل وهن يتناولن طعام الإفطار .

وفي اليوم الذي نحن بصدده، تناولت مس ماربل طعام الغذاء وبعد أن غفت قليلاً في المقعد الذي ابتاعته خصيصاً ليريح ظهرها من الام الروماتيزم أخذت تتصفح جريدة (التايمز) ..

كان من بواعث ضيقها أن الجريدة لم تعد كالعهد بها ، ففيما مضى كان القارىء يعرف أين يجد المقال أو الموضوع الذي يهمه . أما الآن فقد تخلت

الجريدة عن هذا التقليد وخصصت صفحتين أو أكثر للرحلات واهتمت بابراز أنباء الرياضة .. أما أنباء المواليد والزواج والوفيات التي كانت فيما مضى أول ما يلفت نظر مس ماربل لوجودها في مكان واضح فقد تنقلت في صفحات مختلفة ثم استقرت في النهاية في الصفحة الأخيرة .

وبدأت مس ماربل بقراءة الأنباء الرئيسية بالصفحة الأولى .. ولم يستغرق ذلك وقتاً طويلاً، فقد كانت هي نفس الأنباء التي قرأتها في الصباح مع فارق واحد أنها صيغت في أسلوب أكثر رصانة .

وبعد أن ألقت نظرة سريعة على محتويات العدد، انتقلت مباشرة إلى الصفحة الأخيرة ، حيث أنباء المواليد والزواج والوفيات .

وفكرت ،كما طالما فكرت من قبل كلما مرت ببصرها على هذه الصفحة :

ـ من المحزن حقاً أن لا يثير اهتمامي سوى أنباء الوفيات ..

وشرعت في قراءة أسماء المتوفين بمزيد من العناية ، وكانت مرتبة ترتيبا أبجدياً :

أنجوسترو .. أردن .. بارتون .. بورجفايسر . (يا له من اسم ألماني ..) كاربنتر .. كانتريل (كانتريل اليزابيث كانتريل في الخامسة والثمانين من عمرها .. يا الهي .. كنت أظن أنها توفيت منذ وقت طويل .. من كان يظن أنها عاشت حتى أمس .. رغم هزالها وضعف بنيتها) .. رادلي . رافيل .. (رافيل .. جيسون رافيل .. ؟ إنني أعرف هذا الاسم) .

ونحت الجريدة جانباً ، وحاولت أن تذكر أين سمعت اسم رافيل ..

قالت لنفسها :

ـ انه اسم مألوف وسأذكر صاحبه حتما وأرسلت بصرها عبر النافذة إلى الحديقة التي منحتها كثيراً من المتعة .. وكلفتها كثيراً من الجهد والعمل الشاق سنوات طويلة . إلى أن حظر عليها الأطباء أن تعمل فيها ..

لقد حاولت مرة أن تقاوم هذا الحظر ، ولكنها وجدت في النهـــاية

أن من الأفضل لها أن ترضخ لنصيحة الأطباء .

تنهدت وتناولت حقيبة التطريز ، وأخرجت منها (جاكيت) من الصوف لطفل صغير ، ينقصها الكمان . ان حياكة كمين متشابهين عمل ممل .. ولكن لا بأس .. ان منظر الصوف الوردي يبعث على البهجة .. صبراً . بماذا يذكرها هذا اللون الوردي ؟ . نعم .نعم . انه يذكرها بذلك الاسم الذي قرأته في الجريدة .

صوف وردي . وبحر أزرق وشاطيء رملي .. وشمس مشرقة ..
وهي تحيك بابرتها .. ومستر رافيل ..
طبعاً .. طبعاً . لقد تذكرت الآن ..
كان ذلك في جزيرة (سانْ أونوريه) بالبحر الكاريبي . خلال الرحلة المتعة التي هيأها لها ريموند ابن أخيها ..
انها تذكر جيداً عبارة جوان ، زوجة ريموند ، حين قالت لها قبيل الرحلة :
– لا تحاولي الاهتمام بجرائم القتل خلال رحلتك يا عمتاه . ان ذلك يؤذي صحتك .

ولم يكن في نيتها أن تهتم بأية جرائم .. ولكن ذلك حدث رغم إرادتها.. ووقتئذ : عرفت مستر رافيل . وسكرتيرته مسز والترز .. أستر والترز .. وتابعه المدعو جاكسون .

إذن فقد مات مستر رافيل المسكين ..
لقد كان يعلم أنه سيموت قريباً . انه قال لها ذلك .
ويبدو أنه عاش اطول مما توقع الأطباء ..

كان رجلاً قوي الارادة ، عنيداً .. وعلى جانب كبير من الثراء .
وراحت مس ماربل تعمل بابرتها وتفكر في مستر رافيل وتحاول أن تتذكر عنه كل ما تسعفها به ذاكرتها .

ولم يكن مستر رافيل من اولئك الذين يسهل نسيانهم .
كان رجلا صعب المراس ، فظاً في بعض الاحيان ، غنياً جداً ..
وكانت سكرتيرته وتابعه – وهو في ذات الوقت مدلك متمرس – يرافقانه أينما ذهب .. انه كان قعيداً . وبحاجة إلى معونتهما ..
وتساءلت مس ماربل ، ترى هل ظل جاكسون مع سيده إلى آخر لحظة
ربما لا .
فقد كان مستر رافيل مولعاً بالتغيير والتعديل ..
وكان سريع التعب من الناس ووجوههم . ولكنه كان نعم الحليف ..
لقد عرفت ذلك بنفسها خلال الفترة القصيرة المثيرة التي عملا فيها معاً .
وتذكرت مس ماربل ، كيف انطلقت تعدو تحت جنح الظلام حتى وصلت اليه .. وكيف ضحك حين رأى الشملة الوردية اللون التي كانت تغطي بها رأسها في تلك الليلة .
واطرقت برأسها وغمغمت .
– مسكين مستر رافيل .. أرجو الا يكون قد تألم كثيراً .
وتذكرت كيف كان يتألم خلال الأسابيع التي قضاها في الجزيرة . وكيف أحتمل آلامه بصبر وشجاعة .
نعم .. كان رجلا شجاعاً .. وعلى الرغم من مرضه وكبر سنه فمن المحقق أن العالم قد خسر شيئاً بفقده .
ولم تكن مس ماربل تعرف شيئاً عن أساليبه في العمل فلعله كان في معاملته شديد الصلابة والشراسة .. ولكنها كانت واثقة من أن في أعماقه بعض رواسب من الرحمة حرص على ألا تبدو في نبرات صوته أو في قسمات وجهه .
ترى هل كان رب أسرة . ؟
انه لم يتحدث قط عن زوجة أو ولد . ولعله لم يكن يشعر بالوحدة لأن حياته كانت حافلة مليئة

وقضت كذلك وقتاً طويلاً تفكر في مستر رافيل وتعجب لأمره .

انها لم تره منذ عودتها الى انجلترا. ولم تكن تتوقع أن تراه .. ولكن لو اتصل بها . واقترح عليها أن يتقابلا .. بدافع من احساسه بوجود رابطة بينهما . هي حياة ذلك الانسان الذي تماونا على انقاذه في جزيرة سان أونوريه .. أو أية رابطة أخرى من نوع آخر .. مثل وحدة الطباع أو ..

وكفت عن التفكير فجأة ..

كلا . لا يمكن أن يكون بينهما وحدة طباع .. وهي لا يمكن أن يكون لها مثل غطرسته .. وصرامته ، وطباعه الفظة ..

وفي المساء ، كان موضوع مستر رافيل لا يزال يشغل بالها وهي تسير الهوينا بين شجيرات حديقتها ..

وحانت منها التفاتة الى زهرة من نوع معين فقالت بصوت مرتفع :

ـ كم أمقت هذه الزهور .. ألم أقل لجورج أكثر من مرة أنني لا أريدها في حديقتي . ؟

وحينئذ : سمعت صوتاً في الجانب الآخر من السور الذي يفصل بين الحديقة والطريق يقول :

ـ معذرة .. هل قلت شيئاً .. ؟

فأجابت كلا .. اظن أنني كنت أتحدث إلى نفسي .

ونظرت من فوق السور ، ورأت امرأة لا تعرفها .

كانت تعرف أهل القرية كلهم تقريباً .. أما هذه المرأة المتوسطة القامة القوية البناء فانها لم يسبق لها أن رأتها ..

قالت

ـ أن الناس في مثل سني كثيراً ما يتحدثون إلى انفسهم .

فقالت المرأة :

ـ ان لديك حديقة جميلة ...

ـ انها لم تعد كذلك الان .. عندما كنت أشرف عليها شخصياً ..

فقاطعتها المرأة :

ـ آه .. أنا أفهم ما تعنين .. أكبر الظن أنك أوكلت أمرها إلى أحد أولئك العجائز الذين يزعمون انهم يعرفون كل شيء عن فلاحة البساتين بينما هم لا يعرفون إلا القليل . أو لا يعرفون شيئاً على الاطلاق كل ما يفعلونه انهم يجتثون قليلاًمن العشب ويحتسون عدداً لا يحصى من أقداح الشاي . أنا شخصياً شديدة الولع بفلاحة البساتين ..

ـ هل تقيمين هنا .. ؟

ـ انني أقيم في بيت مسز هاستنجز .. أعتقد انني سمعتها تتحدث عنك الست مس ماربل ..

ـ نعم .

ـ أنا أدعى بارتليت .. مس بارتليت .. وقد أوكلت إلى مسز هاستنجز أمر العناية بحديقتها .. ولكنها لا تريد سوى الزهور الموسمية المألوفة . وذلك لا يتطلب براعة . ولا يكلفني جهداً كثيراً . فاذا أردت معونة فانني على استعداد لان أبذل لحديقتك ساعة أو ساعتين كل يوم .. واؤكد لك انني سأكون أفضل من البستاني الذي لديك الان .

ـ الواقع انني أحب الزهور ولا أهتم بالخضر .

ـ إنني أزرع خضراً حديقة مسز هاستنجز .. وهو عمل ممل .. أظن انني يجب ان أذهب الآن .

ونظرت الى مس ماربل من قمة رأسها إلى أخمص قدميها .. كأنها تريد ان تطبع صورتها في ذهنها .. ثم حيتها ومضت في سبيلها ..

وفكرت مس ماربل ..

من تكون مسز هاستنجز هذه ؟. إنها لا تذكر هذا الاسم ..

لعلها إحدى القاطنات في البيوت الجديدة التي شيدت في نهـــاية طريق (جبل طارق) .. وانتقلت اليها بعض العائلات في العام الماضي ..

انفصل الثاني

كلمة السر

بعد نحو أسبوع حمل البريد إلى مس ماربل ثلاث رسائل ، فتناولت إحداها ونظرت اليها طويلاً قبل أن تفضها .

أما الرسالتان الأخريان ، فكان يبدو أنهما تحتويان على فواتير ، أو ايصالات لا أهمية لها .

كانت الرسالة التي اثارت اهتمامها تحمل طابع بريد لندن، وغلافها مستطيل ومن نوع جيد ، وقد كتب عليها العنوان بالآلة الكاتبة ..

وفضتها مس ماربل بعناية .. وقرأت في أعلاهـا اسم : (برودريب وشوستر : محاميان ومسجلا عقود) .

كانت رسالة مهذبة ، مكتوبة بأسلوب رجال القانون ، وفيها يطلب اليها المحاميان زيارتها في مكتبهما في (بلوفر بيري) بلندن يوم الخميس التالي لبحث موضوع قد يفيدها ، وإذا لم يلائمها هذا الموعد ، فلتتفضل بتحديد موعد آخر في وقت قريب . وأضافا انهما محاميا مستر رافيل الذي يعتقدان انها تعرفه .

قرأت مس ماربل الرسالة وقطبت حاجبيهـا في دهشة . وراحت تهبط درج السلم ببطء وهي مستغرقة في التفكير بينما كانت وصيفتهـا (شيري) تتبعها عن كثب لتخف إلى نجدتها فيما إذا تعثرت على السلم العتيق .

قالت لها مس ماربل :
- أراك شديدة الاهتمام بي يا شيري .
- يجب أن اكون كذلك يا مس ماربل .. فان الناس الطيبين قلائل .
- شكراً على الإطراء يا شيري ..
- هل ثمة ما يضايقك يا مس ماربل ؟ يبدو انك مشغولة البال .
- لا شيء يا شيري .. لقد تسلمت للتو رسالة عجيبة من أحـــد مكاتب المحاماة .
فقالت شيري التي تعودت أن تعتبر رسائل المحامين نذير شر :
- أرجو الا يكون هناك من يريد مقاضاتك .
- لا أظن ذلك .. إنهم يطلبون الي مقابلتهم في لندن في الأسبوع القادم .
- لعل بعضهم توفي وأوصى لك بثروته .
- هذا أمر بعيد الاحتمال .
- من يدري ؟.
وتهالكت مس ماربل في مقعدها المألوف وتناولت حقيبة الحياكة ..
هل يمكن حقاً أن يكون مستر رافيل قد ترك لها مبلغاً من المال ؟.
ولكن مستر رافيل ليس من ذلك الطراز .

ولم يكن في استطاعتها الذهاب إلى لندن في الموعد المحدد ، إذ كان مقرراً أن تشترك في اجتماع بمعهد السيدات لمناقشة موضوع جمع التبرعـــات لإنشاء غرفتين اضافيتين بالمعهد المذكور .. فكتبت إلى المحاميين تحدد موعداً آخر في الأسبوع التالي .

* * *

نظر مستر برودريت في ساعته وقال يحدث شريكه مستر شوستر : ترى ما شكلها ؟.

فأجاب شوستر :

- إذا كانت ممن يحافظن على المواعيد فيجب أن تكون هنا خلال ربع ساعة .

— أعتقد أنها متقدمة في السن ، والمسنون أحرص على المواعيد من شباب اليوم الطائشين .

— ترى هل هي نحيلة أم بدينة .

فهز برودريب رأسه ولم يجب .

قال شوستر :

— ألم يصفها مستر رافيل ؟

— لقد كان شديد الحذر في كل ما ذكره عنها .

— ان الأمر كله يبدو غاية في الغرابة .. ليتنا فقط نعلم ما هي حقيقة الموضوع .

ففكر برودريب قليلاً ثم قال :

— قد يكون الموضوع خاصاً بمايكل .

— بعد كل هذه السنين ؟. لا أظن .. ولكن ماذا جعلك تفكر في ذلك ؟ هل قال لك ..

— لم يقل لي شيئاً .. ولم يشر من قريب أو بعيد إلى ما يدور بخلده .. لقد أصدر الي تعلياته فحسب .

— هل تظن انه أصيب بلوثة في الأيام الأخيرة ؟.

- كلا .. بتاتاً . ان اعتلال جسده لم يؤثر على قواه العقلية .. وقد ربح مائتي الف جنيه من صفقاته خلال الشهرين الأخيرين من حياته ..

— الحق انه كان موهوباً ..

— كانت له عقلية مالية منقطعة النظير ..

ودق جرس التليفون في هذه اللحظة فتناول شوستر السماعة ، وسمع صوتاً

نسائياً يقول :

– لقد جاءت مس جين ماربل وهي على موعد مع مستر برودريب .

فنظر شوستر إلى شريكه وأومأ هذا برأسه فقال شوستر محدثاً السكرتيرة :

– دعيها تدخل ..

ودخلت مس ماربل ورأت رجلا متوسط العمر ، نحيـــل الجسم ينهض لتحيتها .. ووقع بصرهـا على رجل آخر أصغر سنـاً ، وأقوى بنية يقف بجواره .

قال الأول :

– اسمحي لي بأن أقدم لك شريكي مستر شوستر .

وقال هذا :

– أرجو الا يكون صعود السلم قد أتعبك ..

– انني الهث قليلا كلما ارتقيت سلماً ..

فقال بروديب معتذراً :

– الواقع ان المبنى عتيق وليس به مصعد ، ولكننا نشغل هـذا المكتب منذ وقت طويل .

فقالت مس ماربل وهي تجيل البصر حولها :

– ان المكان جميل على كل حال .

وجلست على المقعد الذي قدمه اليها برودريب .

بينما تسلل شوستر في هدوء إلى الخارج .

وبعد حديث تقليدي قصير عن الطقس والصقيع قال بروديب وهو يعبث ببعض أوراق أمامه :

– أو لعلك قرأت النبأ في الصحف ..

– لا شك انك سمعت عن وفاة مستر رافيل ..

– لقد قرأت النبأ في احدى الصحف .

- كان صديقاً لك فيما أعتقد .

- انني قابلته لأول مرة منذ أكثر من عام .. كان ذلك في جزر الهند الغربية

- آه .. اذكر انه ذهب إلى هناك للاستشفاء . ولكن المرض كان قد برح به .. وكان قعيداً كما تعلمين ..

- نعم .

- هل كنت تعرفينه جيداً .

- لا أستطيع ان أزعم ذلك .. كنا مجرد سائحين مقيمين في فندق واحد يتبادلان الحديث أحياناً . ولكني لم أره قط بعد عودتي إلى انجلترا . ولعل السبب انني أقيم في بقعة ريفية هادئة . وانه كان منصرفاً كلية إلى عمله .

- الواقع انه ظل يباشر عمله حتى آخر يوم في حياته .. كان ذا عقلية مالية فذة ..

- أنا واثقة من ذلك .. وقد تبينت على الفور انه شخصية غير عادية .

- هل لديك أية فكرة عن الاقتراح الذي اصدر إلي مستر رافيل تعليماته بأن أعرضه عليك ؟.

- ليس في استطاعتي ان أتصور أي نوع من الاقتراحات يمكن أن يعرضه عليّ مستر رافيل .

- إنه كان يكن لك أعظم تقدير .

- هذا كرم منه ، فإنني مخلوقة بسيطة للغاية .

- لا شك انك تعلمين انه كان واسع الثراء .. وقد كتب وصية قبل وفاته

- هذا أمر مألوف في هذه الأيام .

- انني طلبت مقابلتك لكي أقول لك أن مستر رافيل كلفني بأن أنهي اليك انه خصص مبلغاً من المال سيكون حقاً لك بعد عام ، بشرط أن تقبلي الاقتراح الذي سأطلعك عليه .

قال ذلك وتناول من فوق مكتبه ظرفاً مستطيلاً مختوماً قدمه اليها ..

واستطرد قائلا :

– لعل من الأفضل أن تقرأي بنفسك ما جاء في هذا الخطاب . إقرأيه على مهل .. فليس ثمة ما يدعو إلى العجلة ..

وفي تمهل ، فضت مس ماربل الغلاف وأخرجت منه ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة . وقرأتها بإمعان ثم نظرت إلى برودريب وسألت :

– ألا توجد تفسيلات أخرى من أي نوع ؟.

– لا علم لي بشيء .. لقد طلب الي ان أقدم اليك هذه الرسالة وأن اذكر لك المبلغ الذي أوصى به .. المبلغ هو عشرون الفاً من الجنيهات خالصة من ضرائب التركات .

فنظرت اليه مس ماربل وقد أذهلتها المفاجأة وأفقدتها القدرة على الكلام وراح برودريب يرقبها في صمت ..

لم يكن هناك شك في أن ما سمعته مس ماربل في التو واللحظة كان آخر ما توقعت أن تسمعه .

قالت أخيراً وهي تنظر اليه بجدة :

– إنه مبلغ كبير جداً ..

– ليس بسعر النقد في هذه الايام ..

– يجب أن أقول لك بصراحة انني في أشد حالات الدهشة .

وراحت تقرأ الرسالة مرة أخرى بمزيد من العناية ثم قالت :

– هل تعرف ما جاء بهذه الرسالة .. ؟

– نعم .. اقد أملاها علي مستر رافيل شخصياً ..

– ألم تذكر لك شيئاً من الايضاحات ؟.

– كلا ..

– ولكن يخيل إلي انك اقترحت عليه أن يذكر مزيداً من التفصيلات .. ؟

فمرت على شفتي برودريب ابتسامة شاحبة وقال :

ـ هذا ما فعلته . قلت له انه يشق عليك أن تفهمي غرضه تماماً ..

فقلبت مس ماربل شفتها ولم تجب ..

قال برودريب :

ـ لا حاجة بك طبعاً إلى الادلاء برأيك الان ..

ـ يجب أن أفكر في الأمر .

ـ ان المبلغ كبير كما ذكرت أنت ، ويستحق التفكير .

ـ لقد تقدمت بي السن ، وقد لا يمتد عمري عاماً آخر لكي أربح هذا المبلغ .. ذلك إذا استطعت أن أربحه على الاطلاق .

ـ ان المال شيء لا ينبغي أن يحتقره الانسان مهما كانت سنه .

ـ هذا صحيح وفي استطاعتي بهذا المبلغ أن أفيد بعض المؤسسات الخيرية التي يهمني أمرها .. ويوجد دائماً اناس يود الانسان ان يمد اليهم يد المساعدة .. ولكن ايراداته الخاصة لا تسعفه . ولست أزعم فضلاً عن ذلك أنه لا توجد بعض متع ومسرات يطيب لي أن أنعم بها ، ولم يصدني عنها سوى ضيق ذات اليد ..

ـ في استطاعتك مثلاً أن تذهبي في رحلة إلى الخارج .. وأن تغشى المسارح والحفلات الموسيقية وان تحشدي في قبوك أفخر الانبذة والخمور .

ـ انني اكثر تواضعاً من ذلك .. بحسبي أن أتناول (سمانة) كاملة .. وأن أحصل على علبة من (المارون جلاسية) .. وحبذا لو أمتلكت سيارة أذهب بها الى دار الاوبرا ..

ثم تنهدت وقالت :

ـ أرى أنني أهيم في عالم الوهم والخيال .. سآخذ معي هذه الرسالة لاعيد تلاوتها وافكر فيما جاء بها .. ولكن بحق السماء .. ماذا حمل مستر رافيل على أن .. أليست لديك أية فكرة عن الأسباب التي حملت مستر رافيل على أن يعرض علي هذا الاقتراح ، وماذا جعله يعتقد انني أستطيع أن افيد بطريقة ما ؟ كان ينبغي عليه ان يعلم ان عاماً قد انقضى .. وانني قد أصبحت اشد

ضعفاً واقل مقدرة على استخدام مواهبي المحدودة مما كنت قبلا ..
من المحقق ان هناك كثيرين أصلح مني للاضطلاع بالمهمة التي أوكلها إلي .
فقال برودريب :
ــ وذلك بصراحة هو رأيي ايضاً .. ولكنه اختارك أنت يا مس ماربل، ومعذرة عن فضولي إذا سألتك هل لك صلة بموضوع الجرائم وتحقيقها .. ؟

ــ ليست لي أية صلة رسمية وكل ما استطيع ان اقوله لك على سبيل الايضاح هو انني ومستررافيل قد اشتركنا في موضوع جريمة قتل محيرة أثناء إقامتنا في جزر الهند الغربية .
ــ هل تعنين أنكما استطعتما اماطة اللثام عنها .. ؟
ــ الأصح انه هو بقوة شخصيته .. وأنا بقوة ملاحظتي ومقدرتي على التقصي والاستنتاج قد استطعنا ان نحول دون وقوع جريمة قتل . ولم يكن ممكناً ان أفعل ذلك وحدي لأنني ضعيفة .. ولا ان يفعله هو بمفرده لأنه كان كسيحاً .. ولذلك تحالفنا معاً ونجحنا .

ــ سؤال آخر يا مس ماربل .. كلمتا (عدالة السماء) هل تعنيان شيئاً بالنسبة إليك . ؟
فأجابت وقد أشرق وجهها بابتسامة :
ــ عدالة السماء .. ؟ نعم .. انهما تعنيان شيئاً بالنسبة إلي .. وكانتا تعنيان شيئاً بالنسبة إلى مستر رافيل .. لقد وصفت له نفسي ذات مرة بأنني أمثل عدالة السماء .

فارتسمت في عيني برودريب نظرة دهشة . كتلك التي لا بد قد ارتسمت في عيني رافيل وهو طريح الفراش حين سمع هذه العجوز المتهالكة تصف نفسها بأنها تمثل عدالة السماء .

ونهضت مس ماربل وهي تقول :
إذا عرفت او تلقيت من المعلومات ما يلقي ضوءاً على الموضوع الذي ذكره

مستر رافيل في رسالته ، فأرجو ان تبلغني اياه يا مستر برودريب .. سوف يدهشني ألا تتلقى مثل هذه المعلومات والا فانني سأظل في جهل تام بما يريد مستر رافيل ان أفعله ..

– الا تعرفين أسرته .. وأصدقائه .. و ..

– كلا .. قلت لك اننا كنا مجرد زميلين في رحلة سياحية ببلد أجنبي ... ثم نشأ بيننا نوع من التحالف حيال قضية محيرة ..

قالت ذلك وسارت إلى الباب ..ولكنها توقفت فجأة عندما بلغته وقالت :

– كانت لمستر رافيل سكرتيرة خاصة هي مسز أستر والترز .. هل ثمة ما يمنعك من ان تقول لي ما إذا كان مستر رافيل قد أوصى لها بمبلغ من المال ؟

– ان مضمون الوصية سينشر في الصحف ولكني استطيع ان اقول انه أوصى لها بخمسين ألفاً من الجنيهات . وبهذه المناسبة ان مسز والترز قد تزوجت وأصبح اسمها الآن مسز اندرسن .

– يسرني أن أعلم ذلك .. انها كانت أرملة .. ولها ابنة واحدة . وكانت تفهم مستر رافيل جيداً . الحق أنها كانت على جانب عظيم من الكفاءة

وفي مساء ذلك اليوم ، جلست مس ماربل في مقعدها أمام الموقد ، وبسطت الرسالة التي تركها لها مستر رافيل وراحت تعيد تلاوتها في صمت تارة وبصوت مسموع تارة أخرى كأنها لتسجيل بعض عباراتها في ذاكرتها :

إلى مسز ماربل بقرية (سانت ماري ميد) .

سوف تصلك هذه الرسالة بعد موتي ، عن طريق محامي مستر جيمس برودريب الذي يتولى المشكلات القانونية في حياتي وهو رجل أمين جدير بالثقة ولكنه خليق ، كأكثر الناس بأن يصاب بآفة الفضول .. ولم أشأ أن أشبع فضوله فانني أريد لهذا الموضوع أن يظل سراً بيني وبينك ..

إن كلمة السر بيننا يا سيدتي العزيزة هي (عدالة السماء) ولا اظنك قد نسيت المكان او الظرف التي ذكرت فيها هذه الكلمة لأول مرة .

لقد اكتشفت خلال حياتي العملية الطويلة الصفة التي يجب ان تتوفر للشخص الذي اود استخدامه .. هذا الشخص يجب ان تكون له حاسة سادسة بالنسبة للعمل الخاص الذي اسنده اليه .. والحاسة السادسة ليست المعرفة او التجارب وإنما الموهبة الطبيعية لإداء عمل معين .

وأنت يا سيدتي العزيزة لديك حاسة سادسة بالنسبة إلى العدالة ، وبالتالي لديك حاسة سادسة بالنسبة إلى الجريمة .. وانا اريدك على ان تضطلعي بتحقيق جريمة معينة .. وقد رصدت مبلغاً من المال سيكون من حقك إذا أنت قبلت هذه المهمة ونجحت في ادائها خلال عام واحد .

إنك لست في مقتبل العمر ، ولكنك قوية البنية ، واعتقد ان بوسعي ان اطمئن إلى ان القدر سيمد في عمرك عاماً آخر على الأقل .

واكبر ظني ان هذه المهمة لن تثير نفورك ، فقد وهبتك الطبيعة قدرة عجيبة على تحقيق الجرائم .

أما النفقات التي يتطلبها العمل ، فانها ستصرف لك أولاً بأول ..

انني اعرض عليك هذه المهمة كبديل للحياة الهادئة الخاملة التي تحيينها الآن .. فأنا اتخيلك جالسة في مقعد كبير مما يرتاح مرضى الروماتيزم إلى الجلوس فيه . ذلك ان جميع الناس في مثل سنك يعانون من نوع من أنواع الروماتيزم ، فاذا كان هذا المرض قد اصاب ظهرك او ركبتك فأنت لا تتحركين بسهولة وتقضين جل وقتك في الحياكة والتطريز .. واني اراك الآن بعين الخيال ، كما رأيتك ذات ليلة ، وبين يديك كرة ضخمة من خيوط الصوف الوردي اللون ، تحيكين منها مزيداً من الجاكتات والشملات واشياء اخرى لا اعرف اسمها .. فاذا آثرت الاستمرار في الحياكة فذلك شأنك .. وإذا آثرت خدمة العدالة فانني أرجو ان تجدي في ذلك شيئاً من المتعة على الأقل .

رافيل

الفصل الثالث

مس ماربل تعمل

قرأت مس ماربل هذه الرسالة ثلاث مرات ثم وضعتها جانباً وراحت تفكر في مضمونها ومغزاها .

كان أول ما لاحظته على الرسالة خلوها من أية معلومات محددة ، فهل سيوافيها برودريب بهذه المعلومات ؟.

إنها واثقة من أن ذلك لن يحدث ، لأنه لا يتلائم مع خطة مستر رافيل ..

ولكن ماذا كان رافيل يريدها أن تفعل في موضوع لا تعلم منه شيئاً ؟

لا شك ان الرجل تعمد أن يضعها أمام لغز محير .

وعادت بها الذاكرة إلى الفترة القصيرة التي عرفته فيها ..

تذكرت عاهته وعجزه وضيق صدره ، وسخريته اللاذعة ولمحات مرحه القليلة ، وخلصت من ذكرياتها عنه إلى أنه كان يجد متعة في إغاظة الناس.. ألم يكن ما جاء في رسالته دليلاً على انه استمتع باغاظة برودريب حين تعمد ألا يشبع فضوله ؟.

ولم يكن في الرسالة ما يرشدها الى الجريمة التي يريدها على ان تضطلع بتحقيقها ، من المؤكد انه تعمد ذلك لغرض في نفسه ..

ولكن كيف تبدأ هي .. ومن أين تبدأ ؟

انها تجد نفسها أمام ما يشبه أن يكون لغزاً من الغاز الكلمات المتقاطعة . ولكن بلا شرح او ايضاح يرشدها إلى الكلمات المطلوبة .

ينبغي ان يكون هناك الى ما يرشدها . . وان تعرف على وجه التحديد ما هو مطلوب منها . . وإلى اين يجب ان تتجه . . وهل القضية من النوع الذي يقتضيها أن تقبع في مقعدها ، وتعمل بابرتها لكي تركز تفكيرها وتصل إلى الحل ، ام ان رافيل يريدها ان تستقل طائرة او باخرة تذهب بها إلى جزر الهند الغربية او امريكا اللاتينية او اي مكان آخر معين ؟

انها امام احد أمرين ، إما ان تكتشف بنفسها المهمة التي يراد منها القيام بها . . او ان تنتظر حتى تتلقى تعليمات واضحة محددة بشأنها . .

أم لعل الرجل ظن انها من البراعة بحيث تستطيع ان تخمن ، وتسأل وتهتدي بنفسها إلى الطريق ؟

قالت بصوت مرتفع :

- إذا كان قد ظن ذلك فمن المؤكد انه اصيب بالجنون قبل أن يموت .

ولكنها كانت واثقة من انه لم يجن قبل ان يموت .

قالت لنفسها :

- سوف اتلقى تعليمات . . ولكن ماذا ستكون هذه التعليمات ؟. ومتى سأتلقاها .

وأدركت فجأة . . انها تفكر وكأنها قد قبلت المهمة بصفة نهائية ، فقالت مرة اخرى بصوت مرتفع وهي تنظر إلى الفضاء :

- إنني أؤمن بخلود الروح . . وانا لا اعلم اين انت الآن يا مستر رافيل ولكني واثقة من انك في مكان ما ، وسوف أبذل قصارى جهدي لتحقيق رغباتك .

* * *

بعد ثلاثة أيام ، كتبت مس ماربل إلى مستر برودريب الرسالة المقتضبة التالية :

عزيزي مستر برودريب

لقد فكرت في الأمر وقررت قبول اقتراح مستر رافيل، وسأبذل قصارى جهدي لتحقيق رغباته ، رغم انني لست واثقة من النجاح .

والواقع ، كيف يمكن ان انجح وأنا لا أجد في رسالته اية تعليمات ؟

فاذا كانت لديك رسائل اخرى تتضمن معلومات او ايضاحات فانني أكون سعيدة إذا بعثت بها اليّ .

انني افترض ان مستر رافيل كان يتمتع بكامل قواه العقلية قبل أن يموت .

واعتقد ان من حقي ان اسأل : هل كانت في حياة مستر رافيل العملية او الخاصة قضية جنائية تثير اهتمامه ؟ وهل عبر لك مرة عن غضبه او استيائه من سوء تطبيق العدالة في قضية ما ؟. وهل تعرّض احد اقاربه او معارفه للمتاعب او كان ضحية لمعاملة ظالمة ؟

انا واثقة من انك ستدرك الأسباب التي تحملني على القاء هذه الأسئلة .. إن مستر رافيل نفسه ربما توقع ان القيها .

* * *

عرض برودريب هذه الرسالة على شريكه مستر شوستر الذي اعتدل في مقعده وقال :

ـ لقد قبلت المهمة .. اليس كذلك ؟. يا لها من عجوز جريئة .. اعتقد انها تعرف شيئاً عن الموضوع .

ـ لا أظن ذلك ..

ـ ليتنا كنا نعرف .. حقاً لقد كان رجلاً غريب الأطوار ؟

– وصعب المراس .

– ليست لدي أية فكرة عن الجريمة التي ذكرهـــا في رسالته ، فهي لديك أنت ؟

– كلا .. وأظن انه تعمد الا يدعني اعرف شيئاً عنها .

– انه بذلك قد زاد الأمر صعوبة وتعقيداً .. ولا أظن أن في استطاعة هذه العجوز الريفية أن تقرأ ما يدور بخلد رجل ميت .. ألا يمكن أن يكون الأمر كله مجرد دعابة ؟ . وانه ربما علم انهـــا تتيه ببراعتها في حل المشكلات الريفية فأراد أن يسخر منها ؟ .

– لا أعتقد ذلك .. فان رافيل لم يكن من هذا الطراز .

– انه كان شيطاناًمريداً في بعض الأحيان .

– هذا صحيح .. ولكني اظن انه كان جاداً في هذا الموضوع .. كأن ثمة شيء يهمه ويضايقه ..

– ألم يفصح لك عنه ؟.

– كلا ..

– إذن فالموضوع مجرد دعابة .

– إن عشرين الفاً من الجنيهات مبلغ لا يستهان به .

– نعم .. ولكن هب انه كان يعلم ان العجوز لن تظفر به ؟.

– انه لم يكن تافهاً إلى هذا الحد ، لا بد انه كان يعلم ان لديهـــا فرصة للظفر بهذا المبلغ .

– وماذا علينا أن نفعل ؟.

– لا شيء سوى أن ننظر لنرى ما يكون .. لا بد ان يحـــدث تطور ما .

– هل لديك تعليمات أخرى مختومة ؟.

– يا عزيزي شوستر . لقد كان مستر رافيل يثق في إخلاصي لعمـــلي

واحترامي لآداب مهنتي كمحام .. ان التعليمات المختومة التي تتحدث عنها لن تفض إلا في ظروف معينة . وهذه الظروف لم تطرأ بعد ..

– ولن تطرأ ..

وانتهى الحوار عند هذا الحد .

* * *

كان برودريب وشوستر أسعد حظاً من مس ماربل ، فقد كانت لهما مهنة تستغرق كل وقتهما .. أما هي فلم يكن لديها ما تفعله .. سوى أن تعمل بابرتها وتفكر أو أن تخرج للنزهة أحياناً فتثير احتجاج وصيفتها شيري التي لا تلبث أن تصيح :

– أنت تعرفين أوامر الطبيب .. لقد حظر عليك ممارسة أي لون من الوان الرياضة ..

– أنا لا أمارس أية رياضة .. أنا اسير ببطء وأفكر في بعض الأمور .

– أية أمور ؟.

– ليتني أعلم .

ثم استطردت بعد صمت قصير :

– هل تعرفين سيدة تقيم في بيت جديد قريب من هنا تدعى مسز هاستنجز ؟.

وسيدة أخرى تقيم معها تدعى مس بارتليت ؟.

– هل تعنين ذلك البيت الذي أعيد طلاؤه والذي يقع في طرف القرية ؟ ان سكانه جاءوا منذ فترة وجيزة ، وأنا اجهل اسماءهم . فماذا تريدين معرفته عنهم ؟.

– هل ثمة صلة قرابة بين هاتين السيدتين ؟.

– كلا .. أعتقد انهما مجرد صديقتين .

– ترى لماذا ..

– ولم تتم عبارتها فهتفت شيري :

– عم تتساءلين ؟.

– لا شيء .. أريد قلماً وورقاً لأكتب رسالة .

فسألت شيري بما طبعت عليه من فضول :

– لمن ؟.

– لشقيقة قس يدعى بريسكوت .

– ذلك القس الذي قلت انك قابلته خلال رحلتك إلى جزر الهند الغربيـة ؟.

– نعم ..

– وماذا يحملك على الكتابة إلى أحد القسس ؟. هل أنت بخير ؟

فصاحت مس ماربل :

– إنني بخير . وفي أحسن صحة .. وأريد ان أبدأ عملا .. وربما استطاعت مس بريسكوت مساعدتي .

وكتبت الرسالة التالية :

عزيزتي مس بريسكوت ..

لعلك ما زلت تذكرينني .. فانني قابلتك مع أخيك في جزيرة سان أونوريه .

أرجو الا يكون القس العزيز قد عـانى كثيراً من ضيق التنفس بسبب برودة الجو في الشتاء الماضي .

انني اكتب اليك الآن للاستفسار عن عنوان والـترز – استر والترز – السكرتيرة الخاصة لمستر رافيل .

إنها ذكرت لي عنوانها ومن سوء الحظ انني نسيته وبودي أن ابلغها بعض معلومات خاصة بزراعة الزهور كانت قد طلبتها مني .

لقد علمت ، بطريق غير مباشر - انها تزوجت للمرة الثانيـة .. ولكن الشخص الذي أنبأني بذلك لم يكن واثقاً من صحة هذا النبأ .. ولعل عندك أنت الخبر اليقين . .

تحياتي لأخيك القس ، واطيب تمنياتي لك » .

وشعرت مس ماربل بكثير من الارتياح بعد ان ارسلت هذا الخطـاب وقالت لنفسها :

- هذه مجرّد محاولة قد تثمر وقد لا تثمر .. ولكنهـــا بداية عمل على كل حال .

وجاء رد مس بريسكوت بعودة البريد ، متضمناً العنوان المطلوب وقرأت فيه مس ماربل ما يلي :

« أنا أيضاً سمعت عن زواج استر والترز بطريق غير مباشر .. قالت لي إحدى صديقاتي انها قرأت النبـــأ .. وان اسمها بعد الزواج قد اصبح (مسز اندرسون) . وهي تقيم في (ونسلو لودج) بالقرب من مدينـــة (التون) . طلب إليّ ان ابلغك تحياته .

مما يؤسف له حقاً ان المسافة بيننا طويلة فنحن نقيم في شمال انجلترا بينما تقيمين أنت في جنوب لندن ، ولكنني ارجو ان نلتقى في مناسبة ما في المستقبل القريب .

جوان بريسكوت

غمغمت مس ماربل وهي تسجل العنوان :

- ونسلو لودج) .. انها ليست بعيدة عن هنا . واستطيع الوصول اليها باحدى سيارات الأجرة .. وإذا نجحت الرحلة ، أمكن تسجيل نفقاتها على حساب مستر رافيل .

والآن .. هل اكتب لاستر والترز قبل زيارتهـــا .. أم اترك الأمر للظروف ؟ لعل الأفضل ان اتركه للظروف ، مسكينة .. من المؤكد انها لا تشعر نحوي بأي حب او عطف .

وعادت بها الذاكرة الى مغامرتها في (سان أونوريه) .. من المؤكد انها انقذت حياة استر والترز في هذه المغامرة .. ذلك هو رأيها هي على الأقل ، ولكن ربما كان لاستر والترز رأي آخر ..

قالت بصوت خافت :

– إنها امرأة لطيفة .. بل لطيفة جداً .. وقد كادت المسكينة ان تتزوج قاتلاً .. ولذلك اعتقد انني انقذت حياتها حين افسدت هذا الزواج ، ولكني لا أظنها توافقني على هذا الرأي .. بل لعلها تمقتني بسببه .. ولهذا قد لا استطيع الحصول منها على المعلومات التي انشدها .. ولكني سأحاول .. فالمحاولة مهما كانت نتيجتها أفضل من الانتظار ..

وفي صباح اليوم التالي ، طلبت مس ماربل الى وصيفتها ان تأتيها باحدى سيارات الأجرة ، وسألتها شيري :

– هل ستذهبين إلى لندن ؟.

– كلا .. ولكني سأتناول الغذاء في (هازملير) .

فقالت شيري وهي تنظر اليها في ارتياب :

– ترى ماذا تدبرين ؟.

– ادبر لقاء مع شخص بطريق المصادفة ..

وفي منتصف الساعة الثانية عشرة ، جاءت السيارة فقالت مس ماربل لوصيفتها :

– اتصلي تليفونياً بهذا الرقم يا شيري ، واسألي مسز اندرسون ، وقولي لها ان مستر برودريب يريد التحدث اليها .. وانك سكرتيرته .. فاذا قيل لك انها خرجت .. فاسألي متى ستعود .

– وإذا تحدثت الي بنفسها ؟. .

– اطلبي اليها ان تحدد موعداً في الأسبوع للقادم لمقابلة مستر بروديب في في مكتبه بلندن .

– ولماذا لا تتحدثين اليها بنفسك ؟.

– ان الذاكرة لغز عجيب ، فقد يحدث ان يذكر الانسان صوتاً حتى ولو لم يكن قد سمعه منذ اكثر من عام .

– الا يمكن ان تعرف هذه السيدة صوتي ؟.

– كلا .. لأنها لا تعرفك ولم يسبق ان سمعت صوتك، ولهذا طلبت اليك أن تتحدثي اليها .

وفعلت شيري ما أمرت به ، وقيل لها ان مسز اندرسون خرجت لتتسوق وإنها ستعود ظهراً ولن تغادر البيت بقية النهار .

فقالت مس ماربل :

– هذا حسن .. ذلك ييسر الأمور .

الفصل الرابع

استر والترز

غادرت استر اندرسون مبنى السوق .. وقصدت الى حيث تركت سيارتها وهي تقول لنفسها ان إيجاد مكان لوقوف السيارة يزداد صعوبة يوماً بعد يوم ..

واصطدمت في طريقها بعجوز تعرج قليلاً ، فاعتذرت لها ، وهتفت العجوز في دهشة :

– عجباً .. الست مسز والترز ؟. استر والترز ؟ لا شك انك لا تذكرينني .. أنا جين ماربل .. وقد تقابلنا في فندق بجزيرة سان أونوريه .. منذ اكثر من عام ..

– مس ماربل ؟. آه .. حقاً .. من كان يظن انني سألقاك هنا ..

– كم انا سعيدة بلقائك .. انني مدعوة لتناول الغذاء عند بعض الأصدقاء بالقرب من هنا .. هل ستكونين في بيتك بعد ظهر اليوم ؟ سوف يسرني ان نتجاذب اطراف الحديث معاً .. آه .. ما اجمل ان يلقى الانسان صديقاً قديماً ..

– طبعاً .. طبعاً ستجدينني في انتظارك في أي وقت بعد الثالثة .

واتفقنا على ذلك ، ومضت استر اندرسون في طريقها وهي تقول لنفسها :

– جين ماربل . ظننتها ماتت منذ وقت طويل ..

وفي منتصف الساعة الرابعة تماماً ، دقت مس ماربل جرس الباب ففتحته أستر بنفسها . ورافقتها إلى الداخل .

وجلست مس ماربل على المقعد الذي قدمته اليها مضيفتها وهي تقول :

– ما أعجب هذه الدنيا ..يتمنى الأنسان ان يلقى شخصاً بعينه وتحدثه نفسه بأنه سوف يلقاه حتما .. وتمضي الأيام . وإذا به يلقاه فجأة حيث لم يكن يتوقع .

– ويكون أول انطباع له اننا نعيش في عالم صغير ... اليس كذلك

– نعم . ان جزر الهند الغربية تبدو بعيدة جداً عن انجلترا . ومع ذلك فقد كان يمكن ان ألقاك فجأة في لندن .. او في أحد المهاجر ..

– الواقع .. انني لم أكن أتوقع ان القاك هنا .. في هذه المدينة البعيدة عن مسكنك ..

– كلا .. كلا .. انني أقيم في قرية (سانت ماري ميد) وهي ليست بعيدة عن هنا .. والمسافة لا تتجاوز خمسة وعشرين ميلاً .. ولو كنت أعلم انك تقيمين هنا لحاولت الأتصال بك .

– لقد انتقلت إلى هنا منذ وقت قصير .. بعد الزواج مباشرة .

– لم يصل إلى علمي انك تزوجت رغم حرصي على متابعة أنباء الزواج في الصحف .

– انني تزوجت منذ أربعة او خمسة شهور .. واسمي الآن مسز أندرسون ..

– مسز اندرسون .. سأحاول ان أذكر هذا الأسم .. ومن يكون زوجك .. ؟

كان يبدو من غير الطبيعي الا تسأل عن الزوج خاصة وان العجائز معروفات بالفضول .

واجابت استر :

ـ انه مهندس .

ثم استطردت بعد تردد :

ـ وهو اصغر سناً مني .

ـ هذا افضل يا عزيزتي .. فالرجال في هذا الزمن تدركهم الشيخوخة قبل الأوان ، واسرع من النساء ، ربما بسبب كثرة الهموم والاسراف في العمل : مما يصيبهم بارتفاع ضغط الدم او انخفاضه ، وبأمراض القلب وقرحة المعدة .. أما نحن فانني اظن اننا أصلب منهم واكثر احتمالاً ..

ـ ربما .

وابتسمت ، فاطمأنت مس ماربل ..

كانت أستر في آخر لقاء بينهما ترمقها بنظرات تنم عن الحقد والكراهية . وربما كانت في ذلك الوقت تكرهها فعلاً . اما الآن .. فانها خليقة بأن تنظر اليها بشيء من الامتنان . فانه لولاها لكانت نزيلة احد القبور بدلاً من هذه الحياة السعيدة التي تحياها مع مستر اندرسون .

قالت مس ماربل :

ـ إنك تبدين في صحة جيدة ..

ـ وانت كذلك يا مس ماربل .

ـ انني تقدمت في السن . والشيخوخة تحمل معها الالام والإوجاع .. ولست أعني مرضاً خطيراً .. ولكن هناك الروماتيزم وآلام المفاصل والظهر والكتفين . ولكن ما لنا وهذا الحديث .. ان بيتك جميل يا عزيزتي ..

واجالت البصر حولها .

كان كل ما حولها ينم عن الثراء وسعة العيش . ولا بد ان تكون استر قد ابتاعت هذا الأثاث الثمين اعتماداً على الثروة التي هبطت عليها من السماء بعد وفاة مستر رافيل .

ويبدو ان استر أدركت ما يدور بخلدها لانها قالت على الفور :

ـ لا شك انك قرأت نبأ وفاة مستر رافيل .

ـ نعم .. نعم .. كان ذلك منذ نحو شهر . أليس كذلك . ؟ ولشدة ما حزنت على وفاته .. رغم ان الجميع كانوا يتوقعونها .. هو نفسه كان يتوقعها وقد قال اكثر من مرة انه لن يعيش طويلا .. كان رجلا شجاعاً .. ألا تعتقدين ذلك .. ؟

ـ نعم .. كان شجاعاً جداً ، وكريماً جداً .. وقد قال لي في بداية عملي معه بأنه سيمنحني مرتباً كبيراً ، وانه يحسن بي ان أدخر بعض هذا المرتب والا انتظر منه أية منحة أخرى .

ولم انتظر منه أية منحة أخرى ، فقد كان دائماً يعني ما يقول . ولكن يبدو انه غير رأيه .

ـ يسرني انه فعل ذلك .

ـ لقد أوصى لي بمبلغ ضخم . وكان الامر مفاجأة لي فلم أصدقه في البداية

ـ اعتقد انه أراده على ان يكون مفاجأة لك ولكن هل أوصى بشيء لذلك الرجل الذي كان يعمل في خدمته ..

ـ تعنين جاكسون .. ؟ كلا . انه لم يترك له شيئاً . ولكني اعتقد انه منحه مبلغاً من المال في السنة الأخيرة .

ـ هل رأيت جاكسون بعد ان ..

ـ كلا .. انني لم أره بعد رحلتنا إلى تلك الجزيرة ، لأنه ترك خدمة مستر رافيل عقب عودته إلى انجلترا ، وأعتقد انه التحق بالعمل مع احد اللوردات في (جيرسي) أو (جيرنسي) .

ـ كم كنت أود أن أرى مستر رافيل مرة أخرى .. لقد بدا لي عجيباً بعد عودتي إلى انجلترا . وبعد زمالتي لمستر رافيل في تلك الأحداث التي مرت بنا في الجزيرة انني لا أكاد اعرف عنه شيئاً .. وعندما قرأت نبأ وفاته وددت لو انني استطعت ان أعرف المزيد عنه . اين ولد .. واين أسرته وهل له أقارب او اولاد .

فابتسمت استر ونظرت إلى مس ماربل كمن يريد ان يقول: نعم .. أنا واثقة من انك تريدين ان تعرفي كل شيء عن كل انسان تقابلينه ثم قالت بصوت مرتفع

- الواقع انه كان هناك أمر واحد يعرفه الجميع عنه .

- هو أنه كان واسع الثراء .. اليس كذلك .. ؟ عندما يعلم الانسان عن شخص انه غني جداً ، فانه لا يسأل عن شيء آخر .

فضحكت استر ، وقالت مس ماربل :

- أظن انه لم يتزوج . لانه لم يتحدث قط عن زوجته .

- انه فقد زوجته منذ وقت طويل .. وأعتقد انها كانت اصغر منه سناً وانها ماتت بالسرطان .

- هل رزق بأولاد ؟.

- نعم .. ابنتان وولد .. وقد تزوجت إحدى الابنتين وهي تقيم الآن في أمريكا .. أما الثانية فانها توفيت وهي صغيرة .. وقد قابلت الابنة الأمريكية مرة .. ووجدت انها تختلف كثيراً عن أبيها .. فهي تبدو هادئة حزينة ، أما الابن فان مستر رافيل لم يتحدث عنه قط وأظن انه وقع في ورطة ما ، او أثار فضيحة ، او شيئاً من هذا القبيل ، واعتقد انه مات منذ بضعة أعوام .. ومهما يكن الأمر فان أباه لم يتحدث عنه قط .

- هذا أمر يبعث على الأسف حقاً .

- اظن ان ذلك حدث منذ سنوات عديدة .. وان الابن ذهب في رحلة أو سافر إلى الخارج .. ولم يعد .

- وهل أثار ذلك قلق مستر رافيل او حزنه ؟.

- لم يكن في استطاعة احد ان يعرف ما يدور بخلده او ما يعتمل في نفسه .. كان من ذلك الطراز الذي يعرف كيف يلقي خسائره وهمومه وراء ظهره فاذا وجد مثلاً ان ابنه اصبح نقمة لا نعمة .. هز كتفيه وأسقطه تماماً من حسابه .. قد يفعل ما يقتضيه الواجب ، كان يرسل اليه بعض النقود، على

سبيل المساعدة ، ولكنه لا يفكر في امره بعد ذلك .

– ألم يذكره قط في أحاديثه ؟

– لا شك انك تذكرين عنه انه لم يكن الرجل الذي يفصح عن شعوره ، أو يتحدث عن حياته الخاصة .

– نعم .. نعم .. ولكنني ظننت انه ربما أسر اليك بمتاعبــه بصفتك سكرتيرته الخاصة طوال عدة اعوام .

– لو كانت لديه متاعب ، وذلك ما ارتاب فيه ، فانه لم يكن الرجل الذي يفضي بمتاعبه لكائن من كان .

لم يكن يهمه سوى عمله.. فعمله هو ابنه وابنته واسرته جميعاً .. ولم تكن له متعة في الحياة سوى جمع المال وعقد الصفقات ..

– هل أفهم من ذلك انه لم تصادفه أية متاعب قبل موته ؟

– لا أعتقد انه كانت هناك أية متاعب .. ثم انني تخليت عن عملي معــه قبل النهاية ..

– لا شك انه تضايق كثيراً لفقدك .

– لا اظن ذلك .. لم تكن هذه الأمور لتضايق رجلاً مثله .. انه يبحث فوراً عن سكرتيرة أخرى ، فاذا لم تلائمه ، نفحها قبضة من المــال وبحث عن أخرى .. الى ان يجد ضالته .. كان متزن العقل دائماً .

– نعم .. نعم .. ولكنه كان يفقد أعصابه بسهولة ..

– كان يجد متعة في ذلك .

– هل كان له اهتمام خاص بعلم الجريمة ؟. أعني بدراسة الجريمة وحوافزها.

فقالت استر بحدة :

– هل تقولين ذلك بسبب ما حدث في تلك الجزيرة ؟

– كلا .. إنما أعني انه ربما عجب للعوامل النفسية التي تدفع إلى الجريمة.. او كان له اهتمام خاص بالقضايا التي ضل فيها القضاء طريق العدالة أو ..

فقاطعتها استر قائلة :

- ولماذا يهتم بهذه الأمور ؟. ثم ارجوك ألا تعودي إلى ذكر تلك الأحداث المزعجة التي وقعت في سان اونوريه .

- أنا آسفة .. كل ما في الأمر انني تذكرت بعض عبارات قالها مستر رافيل فظننت ان له نظرية خاصة عن أسباب الجرائم ..

- لقد كانت كل اهتمامات مستر رافيل تتركز في المسائل المالية فحسب .

وكانت لا تزال تنظر ببرود إلى مس ماربل فقالت هذه معتذرة :

- يؤسفني انني أثرت ذكريات قديمة مؤلمة ..

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة :

- أظن انني يجب ان انصرف الآن لكي الحق بالقطار .

وحملت حقيبتها ومظلتها وتهيأت للانصراف ، فألحت عليها استر في البقاء لتتناول معها قدحاً من الشاي ، ولكنها أجابت :

- شكراً لك ايتها العزيزة . ان وقتي لا يسمح أرجو ان تتقبلي تهنئتي وأخلص تمنياتي لك بحياة زوجية سعيدة ، اظن انك لا تفكرين في الالتحاق بعمل جديد ؟.

- الواقع ان بعض الناس يضيقون بالبطالة ، ولكني لست منهم .. إنني أريد الاستمتاع بالثروة التي تركها لي مستر رافيل ..

وانصرفت مس ماربل وهي تقول لنفسها :

- كنت اظن ان لها صلة بالموضوع الذي اثاره مستر رافيل ، او انها تعرف شيئاً عنه ، ولكن يبدو انني كنت مخطئة ..

والآن .. ماذا ستكون خطوتي التالية ؟ .

* * *

ووجدت لزاماً عليها ان تفكر في موقفها ملياً ..

لقد عرضت عليها مهمة لا تعرف عنها شيئاً .. وتركت لها حرية قبولها او رفضها .. فهل يجب ان تبحث بنفسها عن ماهية هذه المهمة او تنتظر حتى تتلقى من التعليمات ما يرشدها اليها ؟.

لماذا اختارها مستر رافيل دون غيرها لهذه المهمة ؟.

هل لأن لها مواهب خاصة تتميز بها في ناحية ما ؟.

وراحت تقيم نفسها في كثير من التواضع ..

كانت كل مميزاتها تتلخص في انها شديدة الفضول ، كثيرة الأسئلة .. فهل اختارها لذلك ؟.

* * *

وضناها التفكير ، فهزت كتفيها وقالت بصوت مرتفع :

– الحق انك رجل متعب يا مستر رافيل .. لقد فعلت كل ما استطيع في حدود قدراتي . ويجب الآن ان اترك الأمر لك .

الفصل الخامس

تعليمات من العالم الآخر

بعد ثلاثة أيام تسلمت مس ماربل رسالة، ففحصتها ونظرت إلى الخط الذي كتب به الغلاف، والى طابع البريد، وأيقنت انها لا تتضمن فاتورة من الفواتير المألوفة، وفضتها ووجدت الخطاب التالي مكتوباً بالآلة الكاتبة:

عزيزتي مس ماربل

عندما تتسلمين هذه الرسالة أكون قد مت ودفنت ولا أقول أحرقت ووضع رمادي في قنينة، فانني لا أستطيع ان اتصور كيف يمكن للانسان أن يخرج من قنينة صغيرة مليئة بالرماد لكي يتردد على من يريد التردد عليهم. بينما فكرة الخروج من القبر ممكنة تماماً، هل سأرغب في الخروج؟. ربما.. بل وربما أرغب كذلك في الاتصال بك.

والآن.. لا بد أن يكون محامي قد اتصل بك وعرض عليك اقتراحاً معيناً أرجو ان تكوني قد قبلته، أما اذا كنت قد رفضته فذلك شأنك ولن أشعر بالندم أو الأسف.

وإذا قام محامي وإدارة البريد بما ننتظر منهما فان هذه الرسالة يجب ان تصلك في اليوم الحادي عشر من الشهر، وبعد يومين ستصلك رسالة من أحد

مكاتب السياحة في لندن ، متضمنة عرضاً أرجو ان يصيب هوى في نفسك .

لن اقول اكثر من ذلك ، ولكني اريدك أن تواجهي الأمور بعقل مفتوح، وان تحرصي على نفسك .

أرجو لك حظاً سعيداً ، كما ارجو أن يلازمك ملاكك الحارس ، لأنك ستكونين بحاجة اليه ..

المخلص ـ

ج. رافيل

وقضت مس ماربل يومين وهي على أحر من الجمر ، إلى ان جاءتها الرسالة التالية من جمعية (القصور والحدائق المشهورة في انجلترا) :

عزيزتي مس ماربل

تنفيذاً لتعليمات المرحوم مستر رافيل ، نرسل اليك رفق هـذا تفصيلات الرحلة السابعة والثلاثين لجمعية (القصور والحـدائق المشهورة في انجلترا) التي تبدأ من لندن يوم الخميس الموافق ١٧ الجاري .

فاذا أمكنك الحضور إلى مكتبنا في لندن، فان مسز ساندبورن سكرتيرة الجمعية التي ستشرف على الرحلة سوف يسرها ان توضح لك التفصيلات وتجيب على كل ما يعن لك من اسئلة .

ستستغرق الرحلة بين اسبوعين وثلاثة اسابيع ، ويعتقد مستر رافيل انك سترحبين بها لأنها سوف تشمل منطقة من انجلترا يظن رافيل انك لم تزوريها من قبل ، وقد طلب أن نهيء لك في هذه الرحلة أقصى ما نستطيع من أسباب المتعة والراحة .

فهلا تفضلت باخطارنا عن الموعـــد الذي يلائمك لزيارة مكتبنا بشارع (بركلي) ؟

وطوت مس ماربل الرسالة ووضعتها في حقيبتها، ثم اجرت بعض اتصالات تليفونية بصديقات لها تعتقد انهن اشتركن في رحلات سابقة للجمعية ، ولما لم

تسمع منهن سوى الثناء على هذه الرحلات ، ودقة تنظيمها ، اتصلت بمكتب الجمعية تليفونياً وقالت للسكرتيرة انها ستزور المكتب يوم الثلاثاء .

وفي اليوم التالي تحدثت مس ماربل إلى وصيفتها في الموضوع. قالت :

– انني سأذهب في رحلة يا شيري .

فهتفت شيري :

– رحلة ؟. هل تعنين رحلة إلى الخارج ؟.

– كلا .. انها رحلة داخلية لزيارة القصور التاريخية والحدائق المشهورة .

– هل تظنين ان ذلك يلائم سنك ؟. هذه الرحلات قد تكون متعبة وشاقة .. إذ يتعين عليك في بعض الأحيان أن بسيري مسافات طويلة .

– إن صحتي جيدة.. ثم انني علمت انهم جعلوا لكبار السن فرصة للراحة.

– كل ما أستطيع أن أقوله لك هو أن تعني بنفسك فلسنا نريدك أن تصابي بأزمة قلبية ، أو أن تسقطي في حوض إحدى النافورات ..

– اطمئني يا شيري ، فسوف اعنى بنفسي .

وأعدت مس ماربل حقيبتها ، وذهبت إلى لندن ، حيث حجزت غرفة في فندق متواضع، ثم قصدت إلى مكتب الجمعية – في الموعد المحدد ، وهناك استقبلتها سيدة لطيفة في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها ، قالت ان اسمها مسز ساندبورن وإنها التي ستشرف على الرحلة .

فقالت مس ماربل :

– هل أفهم أن رحلتي ..

وترددت ، وأحست مسز ساندبورن بحرجها فقالت :

– آه .. كان يجب أن أوضح ذلك في رسالتنا اليك نعم .. لقد دفع مستر رافيل كافة نفقات رحلتك

– هل تعلمين انه توفي ؟.

ـ نعم .. ولكنه دبر أمر الرحلة قبل وفاته .. قال أنه مريض ولكنه أراد أن يهيىء هذه الرحلة لصديقة عزيزة لم تتح لها فرصة للاستمتاع بمثـــل هذه الرحلات .

***

بعد يومين ، حملت مس ماربل حقيبتها واحتلت مكانها في الحافلة الفخمة التي ما لبثت أن شقت طريقها إلى خارج لندن ..

وراحت مس ماربل تتصفح الكتيب الذي وزع علىأعضاء الرحلة ويتضمن أسماء المسافرين والبرامج اليومية - والبيانات الخاصة بالفنـــادق والأطعمة .. والقصور والحدائق التي تشملها الرحلة ، والأماكن البديلة التي يستطيع ارتيادها أو التماس الراحة فيها أولئك الذين يتخلفون عن إحدى الزيارات بسبب التعب أو الضعف او الذين يؤثرون الجلوس على السير الشاق وارتقاء التلال ..

صفوة القول أن الرحلة نظمت بدقة ولباقة على نحو يلائم الجميع .

وقرأت مسماربل أسماء الركاب وراحت تتأملهم ، ولاحظت أنهم بدورهم يتأملون بعضهم بعضاً .. ولكن ليس بينهم من يعيرها اهتماماً خاصاً .

قرأت في قائمة الأسماء :

مسز بورتر
مس جوانا كروفورد
الكولونيل ووكر وزوجته
مس اليزابيث تمبل
الاستاذ وانستيد
مستر ريتشارد جيمسون
مس لوملي
مس بنتهام

مستر كاسبار

مس كوك

مس بازوا

مس جين ماربل .

كان بين الركاب أربع سيدات عجائز ، منهن إثنتان تسافران معاً وكلتاهما في نحو السبعين من عمرهما من النوع الذي لا يكف عن التبرم والشكوى ، فاذا أجلست في مقدمة السيارة طالبت بالجلوس في المؤخرة .. وإذا أجلست في مكان ظليل طلبت الجلوس في مكان مشمس .

كان مجموع عدد الركاب فيما عداها هي ومسز ساندبورن خمسة عشر راكباً ..ولما كانت قد أرسلت في هذه الرحلة بالذات فلا بد أن يكون لواحد على الأقل من هؤلاء الركاب أهمية خاصة ، أما كمصدر للمعلومات أو لصلة بالقانون أو باحدى القضايا..او لأنه مجرم ارتكب فعلاً جريمة قتل أو يتأهب لإرتكاب جريمة قتل .

كل شيء ممكن مع مستر رافيل ..

ومهما يكن من امر فانها يجب ان تسجل ملاحظاتها على هؤلاء الناس ، فقد يكون بينهم من يستحق الاهتمام من وجهة نظر مستر رافيل أو من لديه معلومات تفيدها او تفيد مستر رافيل او تفيد العدالة .. سواء كان يعلم ذلك او يجهله ..

ونظرت مس ماربل الى العجوزين الأخريين .. كانتا في نحو الستين ، واحداهما انيقة تبدو من سيدات المجتمع .. وتتكلم بصوت مرتفع وبلهجة الأمر ، وترافقها فتاة في نحو الثامنة عشرة من عمرها تدعوها العمة جيرالدين .

ورأت مس ماربل في المقعد الذى إلى يمينها رجلاً ضخم الجسم ، عريض الكتفين بارز الفكين .. كث الحاجبين .. يجلس بجوار رجل كثير الحركة ، جم النشاط ، يتكلم الانجليزية بلكنة أجنبية ، ويبدي ملاحظاته أحياناً

بالفرنسية والالمانية .

ونظرت مس ماربل الى الرجلين ملياً وقررت أن اولهما لا بد أن يكون الاستاذ وانستيد وان الثاني هو مستر كاسبار .

وتساءلت ترى في أي موضوع يتحدثان بهذه الحماسة .

وأمام هذين الرجلين كانت تجلس سيدة تناهز الستين أو لعلها تجاوزتها.. ولكنها تحتفظ بمسحة من جمال رصين .. وتتميز بجبين مرتفع وصوت هادىء واضح النبرات .

قالت مس ماربل لنفسها :

– لا شك انها شخصية لها مركزها ..إنها تذكرني بعميدات احدى كليات (اكسفورد) .

ومضت مس ماربل في تقييم الركاب .

كان هناك رجل أمريكي دمث الخلق ومعه زوجته الثرثارة ، ورجل انجليزي في نحو الخمسين يبدو انه ضابط متقاعد ، فلم تتردد مس ماربل في أن تختار لهما من بين الأسماء الواردة في القائمة اسم الكولونيل ووكر وزوجته .

وفي المقعد الذي وراءها كان يجلس رجل طويل نحيف يناهز الثلاثين، تدل الفاظه الفنية على انه مهندس .

وفي المقاعد الأمامية ، كانت تجلس امرأتان متوسطتا العمر تسافران معاً. احداهما سمراء نحيفة ، والثانية شقراء مليئة الجسم ، خيل لمس ماربل انها رأتها من قبل ولكنها لم تعرف متى وأين .. ربما في حفلة كوكتيل او في أحد القطارات ..

بقي بعد ذلك مسافر واحد يجب عليها تقييمه .

كان شاباً في التاسعة عشرة أو العشرين من عمره ، يرتدي الزي المناسب لأمثاله ، ويطلق شعره على سجيته ، وقد لاحظت مس ماربل انه يبدي اهتماماً بالفتاة التي ترافق العمة جيرالدين ، وان الفتاة تبادله هذا الاهتمام .

وتناول المسافرون طعام الغذاء في فندق جميل يطل على النهر ، وقضوا الساعات التالية في زيارة معالم مدينة (بلنهايم) . وعندما وصلوا إلى الفندق الذي سيقضون فيه ليلتهم ، كان كل منهم قد عرف الآخر ، وتوثقت بين الجميع أواصر الالفة .

وقد لعبت مسز ساندبورن دوراً هاماً في هذا السبيل .

كانت نشيطة الى أبعد حدود النشاط لبقة في تقريب المسافرين بعضهم إلى بعض ، فاذا رأت أحدهم يجلس وحيداً قالت له بصوتها الرقيق :

– لماذا لا تدع الكولونيل يصف لك حديقته ؟ ان لديه مجموعة من الزهور لا مثيل لها .

واستطاعت مس ماربل خلال ذلك ان تعرف أسماء المسافرين ..

فالرجل ذو الحاجبين الكثيفين هو الأستاذ والستيد ..

وزميله الذي يتكلم الانجليزية برطانة أجنبية هو مستر كاسبار .

تماماً كما توقعت ..

والعمة جيرالدين الأنيقة هي مسز بورتر ..

والفتاة التي ترافقها هي جوانا كروفورد ابنة أخيها ..

أما الشاب ذو الشعر المشوش فهو أملين برايس ويبدو أن آراءه التقت مع آراء جوانا في كثير من الأمور ، كحب الفن والأدب ، والنفور من السياسة والاقتصاد وما اليها .

بينما لاذت العجوزان اللتان تسافران معاً بمس ماربل . وراحتا تبادلانها الحديث عن الروماتيزم والأطباء والعقاقير ، وفهمت مس ماربل انهما قامتا برحلات كثيرة في اوروبا ، وانهما تدعيان مس لوملي ومس بنتهام ، وتقيمان في سومرست وتجدان صعوبة في العثور على بستاني ماهر .

أما السيدتان المتوسطتا العمر اللتان تسافران معاً فهما مس كوك ومس بارو .. وكانت مس ماربل على يقين من انها سبق ان رأت اولاهما ، ولكنها

لم تذكر قط متى او اين ، وقد خيل اليها انهما يتجنبانها ، وانهما تسارعان الى الابتعاد كلما اقتربت منهما .

خمسة عشر شخصاً ، أحدهم على الأقل له اهميته .

وفي المساء تعمدت مس ماربل ان تذكر اسم مستر رافيل في حديثها .. لترى وقعه في نفوسهم ، ولكنها لم تلاحظ شيئاً .

وعلمت مس ماربل ان السيدة الجميلة الأنيقة ذات الشخصية الواضحة هي مس اليزابيث تمبل ، وانها كانت تعمل ناظرة لإحدى مدارس البنات المشهورة ثم تقاعدت .

وان المهندس النحيل الجسم هو ريتشارد جيسون . وخيل الى مس ماربل أنه لا يوجد بين المسافرين من يمكن أن يكون قاتلاً سوى كاسبار .. ولكن لعل سبب ريبتها فيه انه اجنبي .

* * *

أوت مس ماربل إلى فراشها وهي متعبة منهوكة القوى .

كانت الرحلة ممتعة ، ولكن محاولة تقييم خمسة او ستة عشر راكباً لمعرفة ما اذا كان لأحدهم صلة بجريمة قتل اتعبتها وانهكت قواها .

وقبل ان تنام .. القت نظرة اخرى على اسماء المسافرين :

مسز بورتر ؟.. انها سيدة مجتمع شديدة الاعتزاز بنفسها ومركزها ولا يمكن ان تقدم على ارتكاب جريمة .

جوانا كروفورد ؟ مثل عمتها .

مس اليزابيث تمبل .. ؟ انها شخصية محترمة تشع نزاهة ونبلاً .. اذا حدث وارتكبت جريمة فانها ترتكبها خدمة لغرض اجتماعي او هدف من اسمى الاهداف .. ولكن لا .. انها سيدة متزنة العقل والتفكير .. تعرف دائماً ماذا

تفعل .. ولماذا تفعله ... ولا يمكن ان يغريها هدف مهما بلغ نبله إلى التورط في الأثم .

ومع ذلك .. فانها ربما تكون الشخص الذي أراد رافيل ان اقابله في هذه الرحلة لسبب ما ..

وعادت إلى استعراض المسافرين .

الاستاذ وانستيد ؟.. ترى هل هو عالم أم طبيب . ؟ انها شخصياً لا تعرف شيئاً عن العلم أو الطب ، ولكن يبدو على الرجل انه انسان طيب القلب .

مستر بتلر وزوجته ؟.. انهما أمريكيان وليست لها صلة بأحد تعرفه .

مس كوك ومس بارو ؟. امرأتان عاديتان .. ولكنها واثقة من انها رأت اولهما في مكان ما ..

الكولونيل ووكر وزوجته .. انهما شخصـان ظريفان ويبدو ان الرجل أمضى مدة خدمته في الخارج . واكبر الظن انهما فوق الشبهات .

مس بنتهسام ومس لوملي ؟. انهما من ابعد الناس عن الجرائم .. واذا كانت لديهما معلومات فهي عن الروماتيزم وتصلب الشرايين .

مستر كاسبارا ؟ انه رجل سريع الانفعال وربما كان خطراً ولذا يحسن وضعه تحت الرقابة .

أملين برايس ؟. يبدو انه طالب .. ومن أبرز صفات الطلبة هـذه الأيام العنف ، ولكن هل يمكن ان يكون مستر رافيل قد ارادها ان تتعقب طالباً .. ان ذلك يتطلب على ما فعله الطالب او يريد ان يفعله ؟ او ما سوف يفعله آه .. يا إلهي .. انني تعبت .

وغلبها النعاس فنامت ، ورأت فيما يرى النائم ان حاجبي الاستاذ وانستيد الكثيف قد سقطا .. واستيقظت على الاثر ، وخيل اليها ان هذا الحلم قد حل اللغز ، وان وانستيد لا بد ان يكون هو القاتل الذي يريدها رافيل انتتعقبه .

ولكنها ما لبثت ان اعترفت بينها وبين نفسها بأن سقوط حاجبي وانستيد لم يحل شيئاً .

وجفا النوم عينيهـا فاعتدلت جالسة في فراشها ، وتناولت دفتر مذكراتها وكتبت ما يلي :

« من المحقق ان المهمة التي اسندت الي والتي تتعلق بجريمة ما .. فقد قـال مستر رافيل ذلك صراحة في رسالته .. قال ان لي حاسة سـادسة فيما يتعلق بالعدالة .. وذلك يستتبع بالضرورة ان يكون لي حـاسة سـادسة فيما يتعلق بالجريمة .

واذن فهناك جريمة .. وواضح انها ليست جريمة تجسس ، او سرقة او تزوير .. فهذه الوان من الجريمة لم تمر بي، ولا دراية لي بها .

ان مستر رافيل لا يعرف عني سوى ما عرفه خلال اقـــامتنا في جزيرة (سان أونوريه) . فقد جمعت بيننا هناك جريمة قتـل ، ولا بـد انه لاحظ وقتئذ : مبلغ ولعي باماطة اللثام عن جرائم القتل التي تقع في المنطقـــة التي اقيم بها ..

واعتقد ان الوقت قد حان لتحليل المهمة التي اخذتها على عاتقي تحليلا منطقياً .

إن التعليمات التي وصلتني حتى الآن لا تكاد تذكر ، ولذلك يجب أن أسأل نفسي سؤالاً صريحاً :

– ما هي مهمتي ؟

الجواب :

– لا اعلم .

ولما كان من الغريب حقاً ان يسند الي مستر رافيل – وهو من رجال المال والأعمال الناجحين – مهمة مجهولة لا أعرف عنها شيئاً . فيجب اذن ان افهم انه لا يريد مني سوى ان اعتمد على مواهبي وقوة ملاحظتي في تنفيذ التعليمات

التي يصدرها لي صراحة او تلميحاً .
ومعنى ذلك أن هناك تعليمات سوف أتلقاها .
أما المهمة ذاتها فانها خاصة بالعدالة .. أما لتصحيح خطأ من أخطاء العدالة، أو الانتقام من مجرم بتقديمه إلى العدالة .
وذلك يتفق مع كلمة السر (عدالة السماء).. التي ذكرها مستر رافيل في رسالته .
ولقد دبر مستر رافيل قبل وفاته موضوع اشتراكي في الرحلة رقم ٣٧ من رحلات (جمعية القصور التاريخية والحدائق المشهورة) ..
لماذا .. ؟
ذلك ما يجب ان أتسائل عنه .
ترى هل لمهمتي صلة باحدى الحدائق او أحد القصور التي سنزورها خلال الرحلة .. ؟
لا اعتقد ذلك ..
اذن فليس المهم هو القصور والحدائق .. انما المهم هم الناس الذين يشتركون في الرحلة ..
وليس بين هؤلاء الناس من اعرفه شخصياً .. ولكن لا بد ان بينهم واحداً على الأقل له صلة باللغز الذي يطلب مني حله ..
واحد على الاقل من هذه الجماعة له صلة بجريمة قتل ، .. أو بشخص كان ضحية في جريمة قتل .. او ربما كان هو نفسه قاتلا .. »
وهنا كفت مس ماربل عن الكتابة فجأة..وهزت رأسها مرارأتعبيراً عن رضائها عن هذا التحليل

الفصل السادس

حب

وفي اليوم التالي زاروا قصراً يرجع تاريخه إلى عهد الملكة آن . ولم تكن الرحلة طويلة أو متعبة . وكان القصر جميلا وله تاريخ شيق .

وقد أعجب ريتشارد جيمسون - المهندس – بما رأى ، ولما كان من الشباب الذين يلتذون بسماع أصواتهم ، فقد راح ينتقل بين الغرف ببطىء شديد ، ويتحدث عن المواقد والاعمدة والنقوش والقاء حديث خبير عليم . ويقرن كلامه بذكر التواريخ والمراجع ..

واصغى اليه البعض باهتمام في البداية ، ثم استولى عليهم الملل فأخذوا ينفضون الواحد تلو الاخر .. وكان أشد الجميع تبرماً هو مرشد القصر الذي ضايقه أن يغتصب المهندس الشاب اختصاصاته ، ويستأثر بشرح معالم القصر ، فحاول أن يمسك بزمام الموقف ولكن المهندس لم يمكنه من ذلك ، وفي النهاية قام المرشد بمحاولة أخيرة فقال :

هذه الغرفة سيداتي وسادتي هي الغرفة البيضاء وقد وجدت بها جثة شاب مطعون بخنجر . حدث ذلك في بداية القرن السابع عشر ، وقيل أن الليدي موفات سيدة القصر كان لها عشيق تعود أن يدخل القصر من باب جانبي صغير ثم يرقى السلم ويتسلل إلى هذه الغرفة من باب سري بجوار المدفأة .. وذلك

في غياب الزوج : السير ريتشاد موفات الذي كان وقتئذ في زيارة لهولندا ..
وقيل ان السير موفات عاد يوماً فجأة ، وضبط العاشقين في حالة تلبس ..
وكف المرشد عن الكلام ، ونظر حوله .. وسره أن يرى اهتمام الموجودين وارتياحهم إلى حديثه بعد ان سئموا المعلومات الفنية والهندسية التي أكرهوا على سماعها .

وهتفت مسز بتلر بلهجتها الامريكية :

– يا لها من قصة ظريفة ..

واشتد اللغط وكثرت التعقيبات على القصة فانتهزت مس ماربل وبعض السيدات الفرصة وتسللن إلى الخارج وهبطن الدرج إلى الطابق الأرضي .

وقالت مس ماربل تحدث مس كوك ومس بارو ، وكانتا تسيران بجانبها :

– لقد تعرضت احدى صديقاتي ذات يوم لتجربة تمزق الأعصاب اذ دخلت قاعة المكتبة في صباح احد الأيام فوجدت بها جثة .

فقالت مس بارو :

– جثة شخص من أفراد الأسرة . ؟ لا شك انه أصيب بأزمة قلبية ...

- كلا .. كانت جريمة قتل .. وكانت الجثة لفتاة غريبة ترتدي ثياب السهرة .. فتاة جميلة شقراء ولكن كان من الواضح أن شعرها مصبوغ .. وقد ظهر أن ..

وكفت عن الكلام ونظرت إلى مس كوك ، وتعلقت عيناها بخصلة من الشعر الأشقر تتدلى من تحت المنديل الذي تعصب به رأسها ..

وتذكرت فجأة .. وعرفت لماذا بدا وجه مس كوك مألوفاً ولماذا أحست بأنها قد رأته من قبل ..

لقد كان شعر مس كوك بنياً داكناً .. أما الآن فانه أشقر في لون سنابل الحنطة ..

وفي هذه اللحظة .. لحقت بهن مسز بورتر بعد أن هبطت درج السلم وقالت بحدة :

– الحق انني لم أعد استطيع الصعود والهبوط اكثر مما فعلت ، ثم ان الانتظار في الغرف متعب للغاية .. أعتقد ان حديقة القصر وإن تكن صغيرة إلا أنها مشهورة في دوائر فلاحة البساتين ، فهلموا بنا اليها..

قالت ذلك بلهجتها الحاسمة المألوفة ، وكانت النتيجة ان جميع الذين سمعوها خرجوا في أثرها إلى الحديقة .

وجلست مسز بورتر على مقعد بجوار الكولونيل ووكر.. بينما وقع اختيار مس ماربل على أقرب مقعد ، فتهالكت فيه وهي تتنهد بارتياح .. وما لبثت أن سمعت تنهيدة مماثلة صادرة من اليزابيث تمبل التي تبعتها وجلست بجوارها .

قالت هذه الأخيرة :

– إن تفقد هذه القصور أمر متعب ومثير للملل ، خاصة حين يضطر الإنسان إلى الإصغاء إلى محاضرة لا نهاية لها في كل غرفة .

فقالت مس ماربل في شيء من السخرية :

– هذا صحيح .. إن جميع المحاضرات التي سمعناها اليوم كانت غاية في الطرافـة .

– أتظنين ذلك ؟.

واستدارت مس ماربل ، وتلاقت عيون المرأتين ، في نظرة يمتزج فيهـا المرح بالتفاهم المتبادل ، وقالت مس ماربل :

– أتظنينه أنت ؟

– كلا !

وهنا توثق التفاهم التـــام بينهما ، وساد الصمت بينهما لحظة ، ثم بدأت اليزابيث تمبل تتحدث عن الحدائق..وعن حديقة ذلك القصر بصفة خاصةقالت

– لقد قام هولمان بتنسيقها بين عامي ١٧٩٨ و ١٨٠٠ ومات وهو في شرخ شبابه ، وذلك أمر مؤسف حقاً .. فقد كان عبقرياً فذاً ..

– من المحزن حقاً أن يموت الإنسان وهو في عنفوان شبابه .

- ربما .

- إن الذي يموت صغيراً تفوته أشياء كثيرة .

فقالت اليزابيث تمبل :

- أو يفلت من أشياء كثيرة

- إنني .. بعد أن بلغت هذه السن لا أتمالك من الاحساس بأن الموت المبكر يعني ضياع الكثير من متع الحياة .

- وأنا التي قضيت حياتي كلها تقريباً بين الشباب انظر إلى الحياة طالت أو قصرت كوحدة زمنية كاملة .

فقالت مس ماربل :

- فهمت .. تعنين ان الحياة مهما كان طولها هي تجربة كاملة .. ولكن ألا تشعرين بأن الحياة قد تبدو ناقصة إذا انتهت في وقت مبكر ..

- هذا صحيح ..

فنظرت مس ماربل إلى بعض الزهور القريبة منها وغمغمت قائلة بلهجة الاعجاب :

- ما أجملها ..

فتحولت اليها اليزابيث تمبل وقالت :

- هل قمت بهذه الرحلة لرؤية القصور أو رؤية الحدائق ؟.

- أظن انني قمت بهـا لرؤية القصور .. إن ذلك لا يمنعني من الاستمتاع بالحدائق .. ولكن زيارة القصور بأشكالها المتباينة وأثاثها القديم ولوحاتهـا الثمينة هي تجربة جديدة بالنسبة إلي .

ثم استطردت قائلة بعد صمت قصير :

- قد هيأ لي هذه الرحلة صديق كريم ، وأنا شاكرة له .. هل تعودت أنت الاشتراك في مثل هذه الرحلات الترفيهية ؟

- كلا .. وهذه الرحلة ليست بالنسبة إلي رحلة ترفيهية .

فحدقت مس ماربل في وجهها .. وهمت بأن تلقي سؤالاً ثم أمسكت .
وابتسمت مس تمبل وقالت

– هل تتساءلين لماذا أقوم بهذه الرحلة ؟. حسناً .. لماذا لا تحاولين أن تخمني ؟.

فنظرت اليها مس ماربل طويلاً ثم قالت :

– إن تخميناتي لن تعتمد على مـــا عرفته وسمعته عنك من انك شخصية مشهورة ، وان مدرستك لها صيت ذائع .. وإنما تعتمد على ما أراه أمامي.. انك تبدين في نظري كشخص يقوم برحلة من أجل الحج .

فساد صمت عميق قطعته اليزابيث تمبل أخيراً بقولها :

– إنك أحسنت التعبير .. نعم .. إنها رحلة حج .

فقالت مس ماربل بعد لحظة :

– إن الصديق الكريم الذي أرسلني فى هذه الرحلة ودفع كل نفقاتها وقد توفي .. كان يدعى مستر رافيل ، وكان واسع الثراء .. فهل سمعت عنه ؟.

– جيسون رافيل .. انني أعرفه بالاسم فقط ولكني لم أعرفه شخصياً ولم أقابله ، لقد تبرع بمبلغ كبير لمشروع ثقافي كنت اهتم به .. نعم . انه كان غنياً كما تقولين وقد قرأت نبأ وفاته في الصحف منذ بضعة أسابيع ، إذن فقد كان صديقاً قديماً لك ؟.

– كلا .. انني قابلته منذ نحو عام فقط في إحدى جزر الهند الغربية ولم أعرف عنه انه كان واسع الثراء .. وانـــه – كما يقول الناس – كان شديد الانطواء على نفسه .. فهل تعرفين أسرته ، أو أي شخص يستطيع أن..

وتمهلت قليلاً ثم استطردت قائلة :

– لشد ما يخجلني أن أبدو فضولية ..

فصمتت اليزابيث تمبل نحو دقيقة ثم قالت :

– عرفت في وقت ما فتاة كانت بين تلميذاتي في مدرسة (فالوفيلد) ..

لم تكن تمت بقرابة فعلية لمستر رافيل .. ولكنها كانت مخطوبة لإبنه ..
- وهل تزوجته ؟.
- كلا !.
- لماذا ؟.
- ربما لأنها كانت فتاة عاقلة بعيدة النظر والواقع إن الشاب لم يكن من الطراز الذي يتمناه الإنسان زوجاً لفتاة يهمه أمرها .

كانت فتاة رائعة الجمال ، وعلى جانب كبير من دماثة الخلق ، ولا أعلم حقاً لماذا لم تتزوجه .
ثم تنهدت واستطردت قائلة :
- وعلى كل حال فانها ماتت .
- كيف ؟
فنظرت اليزابيث تمبل إلى الزهور بضع لحظات وعندما تكلمت بعد ذلك لم تنطق إلا بكلمة واحدة .. بصوت كرنين الجرس :
- الحب ؟.
- إن الحب كلمة رهيبة بل لعلها من أشد الكلمات رهبة في هذه الدنيا .

الفصل السابع

دعوة

اعترفت مس ماربل بالتعب وتخلفت عن الزيارة التي تضمنها برنامج بعد الظهر وقررت ان تقضي وقتها في الحديقة إلى ان يحين وقت تناول الشاي ، وأيدتها مس سدبورن في ذلك وقالت انه عين الصواب

وجلست مس ماربل في أحد مقاعد الحديقة وراحت تفكر في الخطوة التالية وما ينبغي أن تفعله أو لا تفعله . الى أن عاد زملاؤها فانضمت اليهم في بهو الشاي .. وحرصت على ان تجلس على مائدة واحدة مع مس كوك ومس بارو وشغل المقعد الرابع حول نفس المائدة مستر كاسبار ، ولكن مس ماربل لم تحفل به لعدم إجادته اللغة الانجليزية .

وفيما هم يتناولون الشاي ، نظرت مس ماربل إلى مس كوك وقالت :

– لقد كنت واثقة من اننا تقابلنا ، وعبثاً حاولت أن أتذكر متى أو اين .. ان ذاكرتي لم تعد كعهدي بها فيما يختص بوجوه الأشخاص الذين أقابلهم . ولكني على يقين من انني رأيتك في مكان ما .

فهزت مس كوك رأسها في ارتياب ونظرت إلى صديقتها مس بارو ، وكذلك فعلت مس ماربل ، ولكن لم تجد ما تقوله لحل هذا اللغز .

قالت مس ماربل :

— انني اقيم في قرية (سانت مـــاري ميد) على بعد اثني عشر ميلاً من (لوموث) .. وهي قرية صغيرة ولكنها أخذت الآن في الاتساع ، فهنـاك عشرات من المباني الجديدة تقام في أطرافها .. فهل اتفق لك في وقت ما أن أقمت في تلك المنطقة ؟.

فقالت مس كوك :

— دعيني افكر . انني أعرف لوموث جيداً وربما

وهنا ابتسمت مس ماربل فجأة وهتفت قائلة :

— آه .. طبعاً .. الآن تذكرت ، كنت في حـديقتي ذات يوم وإذا بك تتحدثين عبر السور .. قلت لي انك تقيمين في القرية مع إحدى صديقاتك .

— طبعاً .. طبعاً .. يا لي من غبية .. الآن تذكرتك .. لقد دار الحديث بيننا حول صعوبة العثور على بستاني يعرف مهنته حق المعرفة .

— ويومئذ ذكرت لي اسم الصديقة التي تقيمين معها .. ماذا كان اسمها ؟

— نعم .. كنت أقيم مع ..

وترددت لحظة كمن يحاول أن يتذكر .. فقالت مس ماربل :

— كانت تدعى مسز سندرلاند .. اليس كذلك ؟.

— كلا .. كلا .. إنها كانت مسز ..

وهنا قالت مس باروبثبات :

— مسز هاستنجز ..

وعلى غير انتظار صاح مستر كاسبار :

— هاستنجز ؟. انني رأيت مدينة هاستنجز .. وكذلك مدينة إيستبورن .. انها مدينة جميلة على شاطىء البحر .

قالت مس ماربل :

— انها لمصادفة عجيبة . من كان يظن اننا سنلتقي مرة أخرى بمثل هذه السرعة .

فقالت مس كوك :

- لا عجب ما دمنا جميعاً من هواة الحدائق .

فقال كاسبار :

- ان الزهور جميلة .. وانا أحبها ..

وهنا انطلقت مس ماربل تتحدث عن الزهور حديثاً فنياً .. اشتركت فيه مس كوك ، وأبدت مس بارو بعض الملاحظات .. أما كاسبار فانه غرق في لجة من الصمت .

* * *

وعندما خلت مس ماربل إلى نفسها قبـــل العشاء . أخذت تستعرض حصيلتها من المعلومات الجديدة .

لقد اعترفت مس كوك بأنها كانت في (سان ماري ميد) .. وانها مرت ببيتها .. وقالت ان ذلك كان مجرد مصادفة .. فهل كانت مصادفة حقاً ؟. أم انها ذهبت إلى هناك لغرض ما . او انها أرسلت إلى هناك عمداً ولكن لماذا؟

قالت لنفسها بصوت مرتفع :

- ان أية مصادفة يجب ان تظل موضع الاهتمام الى أن يثبت أنها كانت مجرد مصادفة .

كانت مس كوك ومس بارو تبدوان كأية صديقتين عاديتين تقومان برحلة كما اعتادتا ان تفعلا كل عام. فقد ذهبتا في العام السابق - على حد قولهما - إلى هولندا .. وذهبتا في العام الأسبق إلى ايرلندا الشمالية ..

وهما شابتان لطيفتان .. ولكن مس كوك ترددت لحظة كما لو كانت تريد انكار زيارتها للقرية .. ثم نظرت الى صديقتها كما لو كانت تسألهـا الرأي فيما يجب أن تقوله . وواضح ان مس بارو هي صاحبة الكلمة العليا .

وهزت مس ماربل كتفيها وقالت لنفسها :

– ربما كان كل ذلك مجرد أوهام وخيالات .. ولعلهما مجرد امرأتـــين ساذجتين لا أهمية لهما .

* * *

وتناولت برنامج الرحلات ..

ان رحلة اليوم التالى ستكون شاقة وستبدأ في ساعة مبكرة، وهي تتضمن السير مسافات طويلة على شاطىء البحر .. ألا يحسن بها ان تتخلف عن هذه الرحلة أيضاً لتقضي يومها في الفندق ؟

وفي اليوم التالي ، بينما كانت مس ماربل في طريقها إلى قاعة الطعـــام بالفندق لتناول الغداء ، إذا بسيدة ترتدي ثوباً من الصوف تدنو منها وتقول لها بصوت ينم عن توتر أعصابها :

– معذرة .. هل أنت مس ماربل .. مس جين ماربل ؟.

فأجابت مس ماربل في شيء من الدهشة :

– نعم .. ذلك هو اسمي .

– أنا أدعى مسز جلين .. لافينيا جلين .. واقيم مع شقيقتي على مقربة من هنا .. وقد علمنا انك ستحضرين ..

– علمتني انني سأحضر ؟.

– نعم .. فقد جاءتنا منذ نحو ثلاثة أسابيع رسالة منصديق لنا طلب الينا فيها أن نذكر تاريخ اليوم .. لأنه اليوم الذي سيصل فيه أعضاء الرحـلة التي نظمتها جمعية القصور التاريخية والحدائق المشهورة وقال ان احدى صديقاته .. أو قريباته .. لا اذكر تماماً .. ستكون بين أعضاء الرحلة ..

وبدت الدهشة واضحة على وجه مس ماربل ، فقالت مسز جلين :

– الصديق الذي أعنيه هو مستر رافيل ..

– مستر رافيل ؟ آه .. هل تعلمين أنه ..

ـ انه توفي ؟. واعتقد انه توفي بعد كتابة تلك الرسالة بوقت قصير ..
ولكننا أحسسنا بأن علينا واجباً مقدساً هو تنفيذ جميع رغباته . لقد قال
لنا في رسالته انك ربما ترغبين في الاقامة معنا يوماً أو يومين لأن برنامج الرحلة
في هذه المرحلة شاق للغاية وقد لا يلائم المتقدمين في السن . لأنه يتضمن السير
مسافات طويلة .. وارتقاء بعض التلال والمرتفعات .. وأنا وشقيقتاي يسعدنا
كثيراً أن تقيمي معنا في بيتنا الذي لا يبعد عن الفندق سوى مسيرة بضع
دقائق .

فترددت مس ماربل لحظة !

لقد أعجبتها مسز جلين بجسمها الملىء ووجهها الصبيح ووجنتيها الموردتين
وشدة حيائها ..

ثم ان هذه تعليمات مستر رافيل .. ترى هل أراد بهذه التعليمات أن
يحدد لها خطوتها التالية ؟

لا بد ان يكون الأمر كذلك

وتحولت الى مسز جلين التي كانت تنظر اليها بقلق وقالت :

ـ شكراً لك .. لسوف يسرني ان اقيم معكن .

الفصل الثامن

الشقيقات الثلاث

وقفت مس ماربل أمام النافذة ونظرت إلى الحديقة بعينين لا تريان ما امامها .

لم يكن مألوفاً الا تلقي على ما ترى من حدائق نظرة رضى او نظرة استنكار ولكن الحديقة التي امتدت أمامها هذه المرة كانت بقعة أرض مهملة لم يبذل فيها جهد او مال منذ سنوات عديدة .

كذلك كان البيت وكان الاثاث ..

جميع الدلائل تدل على ان هذا البيت الذي يطلقون عليه اسم (البيت القديم) لم يحظ منذ وقت طويل بشيء من العناية او الحب . رغم ما يبدو فيه من متانة البناء وجمال التنسيق ..

لقد تداولته أجيال من البنين والبنات رحلوا جميعاً وانتهى أمره أخيراً – كما فهمت مس ماربل من كلام مسز جلين وهي ترشدها إلى الغرفة التي خصصت لاقامتها – إلى مسز جلين وشقيقتيها .. اللائي ورثنه عن عم لهن .. وقد جاءت مسز جلين للاقامة فيه مع أختيها بعد ان توفى زوجها .. ثم مرت الاعوام وتقدمت بالشقيقات الثلاث السن، وقل ايرادهن .. فعجزن عن استخدام من يعنى بأمر البيت والحديقة .

كذلك فهمت مس ماربل من حديث مسز جلين .. انها الأخت الوسطى وانها الوحيدة التي تزوجت .. أما اختاها الكبرى والصغرى فقد ظلتا عانستين .
ولم يكن في البيت أي أثر من آثار الاطفال .. لا كرة . ولا مقعدصغير .. ولا عربة أطفال .

كان البيت ، بيت شقيقات ثلاث فحسب .. ولكنهن ثلاث شقيقات رقيقات مهذبات . من الطراز الذي كانت مس ماربل في يفاعها تصفهن بأنهن سيدات كريمات اخنى عليهن الدهر .

ولكن السيدات الكريمات في هذه الايام قلما تنقطع بهن الاسباب إلى حد التداعي تحت وطأة الفقر . انهن يتلقين المعونات من الحكومة والجمعيات وأقاربهن الاغنياء . أو من أشخاص مثل مستر رافيل.
ان وجودهما الان في هذا البيت القديم يؤكد هذه الصلة بين مستر رافيل والشقيقات الثلاث .

لقد عرف الرجل قبل أربعة أوخمسة أسابيع وعلى وجه التقريب اليوم الذي سيموت فيه . فرسم خطته بنفس الدقة التي يتوخاها في عقد صفقاته المالية .
وليس ثمة شك في ان الرجل كانت له مشكلة خاصة تضايقه وتزعجه . مشكلة لا يستطيع حلها بنفسه لأنه مريض طريح الفراش .. ولا ينفع في حلها وفرة المال أو مهارة المحامين .

قالت مس ماربل لنفسها مستطردة :
- ولهذا فكر في ..
فكر في أن لها من الصفات ما يؤهلها لحل مشكلته .
ولكن ما هي مؤهلاتها ..؟
هواية فلاحة البساتين .. ومعالجة الجرائم التي تقع في محيطها ..
من المؤكد ان مشكلته لم تكن مشكلة حدائق .. انها اذن جريمة .
ولكن أين وقعت هذه الجريمة .. ؟

لقد بدأ مستر رافيل بتدبير الأمر مع المحامين .. وقـام المحامون بمـا هو مطلوب منهم .. وارسلوا خطابه اليها في الوقت المناسب .. وكان الخطـــاب مكتوباً بعناية .. ولكنه لم يوضح المشكلة .. ولم يحدد مهمتها ..

ثم لماذا لم يرسل الرجل في طلبهـا قبل موته ليحدثهـــا عن مشكلته ؟. ولكن لا .. ان ذلك يتعـارض مع طبيعته انه لا يحب ان يرجو احداً .. لقد تعود ان يأمر وأن يدفع ثمن الخدمات التي تقدم اليه . واذا كان قد حدد لمهمتهـــا ذلك المبلغ الضخم . فانما فعل ذلك لاثارة فضولها .. لا لاغرائها ، ولعله لم يذكر مشكلته بالتفصيل ، حتى لا تتأثر بوجهة نظره فيهـا ، فـــان الانسان لا يستطيع أن يتحدث عن أمر إلى شخص آخر ، دون أن تفلت منه كلمة أو عبـــارة تعبر عن وجهة نظره الخاصة ومن المحتمل فضلاً عن ذلك الا يكون مستر رافيل قد اطمأن إلى صواب رأيه في المشكلة .

خاصة وهو مريض مرضاً ربما اشفق منه على سلامة تفكيره وحسن تقديره للامور .. ولذلك آثر أن يترك لها الحرية لتفكر كماتشاء ، وتستنتج ما تشاء .

والآن .. لنعد إلى جوهر الموضوع ..

انها الآن في البيت القديم حيث تقيم الاخوات الثلاث ، كلوتيلد ولافينيــــا (مسز جلين) وانثيا ، وقد دبر مستر رافيل أمر زيارتها لهذا البيت قبل بضعة أسابيع من وفاته ولعل ذلك كان أول اجراء اتخذه بعد أن فرغ من اصدار تعليماته إلى محاميه .

ومعنى هذا انها أرسلت إلى هذا البيت لغرض معين فهل للشقيقات الثلاث صلة باللغز الذي يراد منها حله ؟ أو هل في هذا البيت من الاثار أو الادلة مـــا يمكن أن يرشدها إلى اللغز وحله .. ؟

ذلك ما كانت تفكر فيه مس ماربل وهي تطل من نافذة غرفتها ، وتنظر إلى الحديقة بعينين لا تبصران ما أمامها .

* * *

وطرق الباب ، ودخلت لافينيا (مسز جلين) وقالت :

ـ أرجو ان تكون الغرفـة قد راقتك . هل أساعـــدك في اخراج ثيابك من الحقيبة واعدادهـا . ؟ هناك امرأة لطيفة تتردد علينـا للمساعدة في أعمال البيت ولكنها لا تحضر الا صباحاً .

ـ شكراً لك يا مسز جلين . انني لن أخرج من ثيابي الا ما قد أحتاج اليه خلال اقامتي القصيرة هنا .

ـ لقد خطر لي أن أدلك على السلم، فان البيت مترامي الاطراف وبه سلمان وكثيراً ما يضل فيه الغرباء طريقهم .

ـ هذا كرم منك يا مسز جلين .

ـ أرجو اذن ان تهبطي إلى الطـابق الارضي لكي نتناول معاً قدحـاً من الشراب قبل الغذاء .

فوافقت مس ماربل وتبعت مضيفتها ولاحظت وهي تسير خلفها انها أصغر منها بكثير .. فهي لا تتجاور الخمسين من عمرها .

وأخذت مس ماربل تهبط درج السلم في حذر مستعينة في ذلك بالحاجز الخشبي ، ولم تتمالك من ان تهتف باعجاب :

ـ انه بيت جميل حقاً .. واعتقد انه بني حوالي سنة ١٧٠٠ أليس كذلك ؟

ـ انه بني سنة ١٧٨٠ .

وقادت لافينيا ضيفتها إلى قاعة الاستقبال وهي غرفة فسيحة، بها بضع قطع ثمينة من الاثاث تنتمي إلى عصور مختلفة .

وكانت كلوتيد وأنثيا تنتظران هناك فما ان ابصرتا بمس ماربل حتى خفتـا لاستقبالها فقدمت اليها احداهما مقعداً وقدمت اليها الأخرى قدحاً من شراب (الشيري) .

وقالت كلوتيلد :

ـ انني أؤثره على سواه .. بسبب آلآم الظهر .

وكانت كلوتيلد – كبرى الشقيقات الثلاث – طويلة القامة ، مهيبة الطلعة سمراء البشرة سوداء الشعر اما الصغرى أنثيا . فكانت نحيفة ، وشعرها الاشقر الذي خطه الشيب يتدلى على كتفيها بلا اعتناء .

وهكذا وجدت مس ماربل نفسها وجهاًلوجه أمام الشقيقات الثلاث : كلوتيد ولا فينيا وأنثيا ..

كانت كلوتيلد وسيمة أنيقة ..

وكانت لافينيا بسيطة المظهر ضاحكة السن..

أما أنثيا فكانت لها عينان رماديتان واسعتان .. وجفن يختلج بين الفينة والفينة بحركة عصبية .. وكانت لها طريقة عجيبة في النظر يميناً ثم يساراً ثم إلى الخلف من فوق كتفها كما لو كانت تشعر بأن هناك من يراقبها طوال الوقت .

* * *

وتجاذب النساء الأربع أطراف الحديث ، ثم انصرفت لافينا إلى المطبخ ، ويبدو أنها كانت اكثر الشقيقات اهتماماً بشؤون البيت ، فاستمر الحديث بدونها وتناول قصة البيت القديم فقالت كلوتيد انه كان ملكاً لعمها ، فلما توفى ، انتقلت ملكيته اليها هي وأختيها ..

واستطردت قائلة :

– كان لعمي ابن وحيد ولكنه قتل في الحرب ، ونحن الآن آخر سلالة الأسرة

فقالت مس ماربل وهي تجيل البصر حولها :

– انه بيت جميل ، شيد بعناية ..

فقالت كلوتيلد :

– نعم .. ولكننا نتمنى لو كان أقل اتساعاً .

فقالت مس ماربل :

– الواقع إن الترميات تكلف كثيراً هذه الأيام .

– لقد رأينا بعض أجزاء منه تتــداعى تحت أبصارنا دون أن نستطيع شيئاً .. وكان في الحديقة بيت كبير للزهور والفاكهة ، ولكنه انهار فلم يبق منه إلا الحطام .

فقالت انثيا :

– كانت تنمو به أنواع من الأعناب والفاكهة لا مثيل لها لشد ما أشعر بالأسف لانهياره .. ثم جاءت الحرب فلم نستطع استخدام بستاني للعناية بالحديقة .

وتنهدت الأختان ، تنهيدة من يرى الزمن يمر .. والظروف تتغــير .. ولكن ليس إلى افضل ..

وقالت مس ماربل لنفسها :

– ان في هذا البيت حزناً لا يمكن ازالته .. لأنه تغلغل في الأعماق ..

ومرت بجسدها رعدة .

الفصل التاسع

الحديقـــة

كان طعام للغذاء جيداً ، وقد تناولته مس ماربل ومضيفاتها في قاعـة فسيحة تزين جدرانها صور بعض أفراد الأسرة ، ودار الحديث عن الرحـلة ، فقالت كلوتيلد :

– هل كان مستر رافيل صديقاً قديماً لك ؟.

– ليس بمعنى الكلمة . . فقد قابلته لأول مرة خلال رحلة إلى جزر الهنـد الغربية أعتقد انه قام بها للاستشفاء .

فقالت أنثيا :

– هذا صحيح . . فانه كان مشلولاً خلال السنوات الأخيرة .

فقالت مس ماربل :

– انني أعجبت بنشاطه وقوة مقاومته . . فقد كان يعمل طوال النهار ، ولا يكف عن إملاء الرسائل وارسال البرقيات ولم يستسلم قط للمرض .

فقالت لافينيا :

– إننا لم نره كثيراً خلال الأعوام الأخيرة ولكنه كان يذكرنا دائمـــاً في أعياد الميلاد .

وسألت أنثيا

- هل تقيمين في لندن يا مس ماربل ..

- كلا .. انني أقيم في الريف في قرية صغيرة بالقرب من (لوموث) تبعد عن لندن نحو خمسة وعشرين ميلاً ..

ثم استطردت قائلة :

- أظن ان مستر رافيل كان يقيم في لندن ، انني لاحظت العنوان الذي سجله في دفتر الفندق بجزيرة أونوريه ، وهو ميدان أيتون .. أو ميدان بلجريف .. لست أذكر تماماً .

فقالت كلوتيلد :

- كان له كذلك بيت في (كنت) اعتاد أن يدعو اليه أصدقاءه من رجال الأعمال .. ولكننا لم نزره هناك قط .. كنا نراه فقط كلما ذهبنا إلى لندن وكان يحتفي بنا ويكرم وفادتنا .

فقالت مس ماربل :

- الحق انه كان كرماً منه أن يقترح عليكن استضافتي هنا .. فما كنت اتوقع من رجل أعمال كثير المشاغل أن يتذكر أمراً كهذا ..

- إننا دعونا من قبل أصدقاء له كانوا في مثل هذه الرحلة والواقع ، ان هذه الرحلات مهما بلغ من دقة برامجها لا يمكن أن تلائم الجميع .. فالشباب، مثلاً لا يضيرهم أن يسيروا مسافات طويلة ، أو أن يرقوا التلال والمرتفعات، أما كبار السن الذين لا يستطيعون ذلك فانهم يفضلون البقاء في الفنادق .. والفنادق هنا لا تتوفر فيها أسباب الراحة ، أنا واثقة من أن رحلة اليوم ما كانت لتلائمك وكذلك رحلة الغد التي أعتقد انها ستكون الى احدى الجزر في قارب تتقاذفه الأمواج ..

فقالت لافينيا :

- ان زيارة القصور ذاتها متعبة للغاية .

فقالت مس ماربل :

ـ نعم .. إنها متعبة .. وأعتقد انه ما كان ينبغي علي أن اشترك في مثل هذه الرحلات .. ولكن المباني القديمة والأثاث النادر واللوحات الثمينة كلها مغريات يتعذر مقاومتها .

كان كل شيء ممتعاً وطبيعياً .. ولكنها لسبب مـــا كانت تشعر بأن أعصابها متوترة وبأن هناك شيئاً غير طبيعي .

وبعد الطعام ، رافقتها أنثيا في نزهة بالحديقة .. ولكنها كانت نزهـة محزنة .. فكل شيء حولها يدل على أنه كانت هناك في يوم ما حديقة يانعة معنى بها ، وحقل لزراعة الخضر التي يحتاج اليها البيت .

وسارت أنثيا بجوارها ، والهواء يعبث بشعرها الطويل .. وراحت تتكلم بلهجة عصبية وعبارات مقتضبة .

قالت :

ـ أظن أن لديك حديقة جميلة .

فأجابت مس ماربل :

ـ انها صغيرة جداً .

وسارتا في طريق مليء بالأعشاب ، وانتهيتا إلى شبه تل صغير قائم بجوار جدار السور وهنا قالت أنثيا بحزن :

ـ هوذا بيت الزهور .

ـ حيث كانت توجد أشجار الكروم .

ـ نعم .. كانت احداها تنتج أعناباً بيضاء صغيرة شديده الحـــلاوة ، وأخرى تنتج أعناباً زكية الرائحة ..

ـ ذلك النوع الذي يطلق عليه إسم (شيري باي) .. نعم إن شذاه كالعطر .. ولكن .. هل سقطت هنا قنبلة أطاحت ببيت الزهور ؟

ـ كلا .. لم تسقط قنابل في هذه المنطقة ولكن البيت تداعى وانهـــار ،

ولم يكن لدينا المال الكافي لترميمه أو إعادة بنائه ، وحتى لو أعدنا بناءه لما استطعنا صيانته والإفادة منه لعدم وجود البستاني الماهر .. انظري كيف نبت العشب بين الانقاض .

– نعم .. العشب والنباتات المتسلقة السريعة النمو إنها تتكاثف بسرعة تفيد في اخفاء المباني المتهدمة .. والمناظر الكريهة .. ولكنها إلى جانب ذلك تقتل كل ما حولها من زهر أو نبات .. هل كان بيت الزهور كبيراً ؟

فأجابت أنثيا في حزن :

– نعم .. وكان حافلا بأشجار الخوخ ..

قالت ذلك وأشاحت بوجهها ، وسارت في طريق متعرجة بمحاذاة الجدار .. وأسرعت الخطى كمن يريد الفرار من شيء مقيت ، حتى عجزت مس ماربل عن اللحاق بها ..

ترى هل كانت الفتاة تشعر بالخجل مما آل اليه أمر بيت الزهور ؟

قالت الفتاة :

– إن لدينا حقلاً للزهور التي لا تحتاج إلى عناية بستاني متمرس ..

ثم سألت فجأة :

– هل تقومين دائماً بمثل هذه الرحلة ..

– تعنين رحلة جمعية القصور التاريخية والحدائق المشهورة ؟

– نعم .. بعض الناس يقومون بها كل عام .

– ان تكاليفها باهظة وفوق ما أطيق . وهذه الرحلة هدية من صديق لي بمناسبة عيد ميلادي .

– كنت أتساءل عما يحملك على الاشتراك في رحلة متعبة كهذه .. ولكن ما دمت قد تعودت السفر إلى جزر الهند الغربية وأمثالها ..

فقاطعتها مس ماربل :

– وهذه ايضاً كانت منحة من ابن أخي ..

– آه ..

– لا أدري في الحق ماذا يكون من أمرنا نحن العجائز بدون الشباب .. انهم كرام ظرفاء ، أليسوا كذلك ؟.

– في الحق لا أعلم فليس لنا أقارب في سن الشباب .

– أليس لأختك لافينيا أولاد ؟

– كلا .. وربما كان ذلك أفضل .

فقالت مس ماربل لنفسها وهي تسير مع مضيفتها في الطريق إلى البيت :

– ترى ماذا تعني بذلك ؟.

الفصل العاشر

الايام التي مضت

في منتصف الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي طرق باب مس ماربـل ودخلت امرأة متقدمة في السن، تحمل صحفة عليها اناء شاي ، وقدح ، ووعاء لبن وبعض الخبز والزبد .

قالت المرأة بصوت مرح :

– طاب صباحك يا سيدتي .. لقد أعددت لك الشاي .. انه ليوم صحو جميل .. وها أنذا ارى انك أزحت الستار عن النافذة هل نمت جيداً ؟

فأجابت مس ماربل وهي تضع جانباً كتاباً دينياً كانت تقرأه :

– نعم . شكراً .

– ان زملاؤك سيقومون اليوم برحلة شاقة .. أحسنت صنعاً بعـدم مرافقتهم .

– الواقع انني سعيدة بالبقاء هنا .. وقد كان كرماً من مسز جلـين (لافينيا) وأختيها أن يدعونني للاقامة معهن .

– وكان ذلك خيراً لهن أيضاً .. إن وجود ضيوف يسري عنهن .. فالبيت كئيب في هذه الأيام .

قالت ذلك ونظمت بعض قطع الأثاث، ووضعت زجاجة مليئة بالماء الدافيء

وسط حوض صغير على حافة المدفأة واستطردت قائلة :

ـ يوجد حمام في الطابق الثاني ، ولكني جئتك بماء دافىء حتى لا تتكلفي عناء صعود السلم .

ـ شكراً لك .. يخيل الي انك تعرفين هذا البيت جيداً .

ـ انني حضرت اليه وأنا فتاة صغيرة ، وعملت فيه كوصيفة .. كان هناك وصيفتان وثلاثة خدم وطاه ، وخادمة مطبخ .. ذلك في عهد الكولونيل .. كان لديه كذلك عدد من الخيول ، وسائس .. تلك أيام لن تعود .. أيام كانت السعادة فيها ترفرف على هذا البيت ، ثم جاءت الأحزان وتوالت .. فماتت زوجة الكولونيل في ريعان شبابها ، وقتل ابنه في الحرب ، وتزوجت ابنته الوحيدة ورحلت مع زوجها إلى نيوزيلندا وماتت أثناء الوضع .. وبقي الكولونيل هنا وحيداً حزيناً .

وأهمل البيت حتى تداعى ، ثم مات، وترك البيت لبنات أخيه مس كلوتيلد واختيها ، وجاءت مس كلوتيلد ومس أنثيا للاقامة فيه ، ثم انضمت اليهما مس لافينيا بعد وفاة زوجها .

وتنهدت العجوز وهزت رأسها بحزن واستطردت قائلة :

ـ ولم يكن في استطاعتهن عمل شيء لصيانة البيت أو الحديقة ..

ـ كل هذا يدعو للأسف حقاً .

ـ وخاصة بالنسبة إلى الشقيقات الثلاث .. انهن من أنبل السيدات وأكرمهن .. ربما كانت مس أنثيا شخصية مهزوزة . ولكن كلوتيد تخرجت في الجامعة وهي متوقدة الذكاء وتتكلم ثلاث لغات .

أما مسز جلين فانها على جانب عظيم من الظرف ودماثة الخلق . وقد ظننت عندما جاءت ان الأمور ستتحسن ولكن لا احد يعلم ما يخبئه القدر، انني أشعر أحياناً كأن اللعنة حلت على هذا البيت ..

فنظرت اليها مس ماربل متسائلة .

وقالت العجوز :

– لقد توالت الكوارث واحدة بعد أخرى .. سقطت أولاً احـدى الطائرات في اسبانيا وقتل ركابها جميعاً وبينهم إحدى صديقات مس كلوتيلد وزوجها . وكان لتلك الصديقة وزوجها ابنة في المدرسة لم تذهب مع ابويها فنجت من الموت ، وجاءت بها مس كلوتيلد الى هذا البيت لتقيم معهـا .. واصطحبتها في رحلات إلى إيطاليا وفرنسا ، وعاملتها كابنتها كانت فتاة سعيدة لطيفة .. لا يتصور إنسان ان يحدث لها ما حدث ..

– وماذا حدث لها ؟ وهل حدث هنا ؟

– كلا .. حمداً لله انه لم يحدث هنا .. وان كان بوسعك أن تقولي انـه بدأ هنا .. فهنا قابلته لأول مرة .. كان في هذه المنطقة وكانت الشقيقات الثلاث يعرفن أباه .. وهو رجل غني جداً . فجاء لزيارتهن وكانت هذه هي البداية ..

– ووقع كل منهما في حب الآخر ..

– نعم .. انها أحبته من أول نظرة . كان شاباً وسيماً حلو الحديث .. لا يمكنك أن تتصوري بحال انه .

– هل انتهت قصة الحب نهاية سيئة وانتحرت الفتاة ؟

– انتحرت ؟. من قال لك ذلك ؟ انها كانت جريمة قتل صارخة .. لقد خنقت المسكينة وهشم رأسها وشوهت معالم وجهها ، وذهبت مس كلوتيلد للتعرف عليها .. فكانت صدمة لم تبرأ منها حتى الآن .

وقد وجدت الجثة على بعد ثلاثين ميلاً من هنا ، وسط الأعشاب في محجر مهجور ، وقيل ان تلك الجريمة لم تكن اولى جرائم الشاب ، وانه قتل بضع فتيات قبل ذلك ..

وكانت الفتاة المسكينة قد اختفت منذ ستة شهور ، وبحث عنها البوليس في كل مكان ، إلى ان وجد جثتها في المحجر ..

ألا تباً لذلك الفتى الشرير .. لقد كان شيطاناً رجيماً منذ نعومة أظفاره .

يقولون الآن ان هناك مرضى بعقولهم يرتكبون الجرائم مكرهين .. فهم لا يسألون عما يفعلون .. اما أنا فأقول ان هذا هراء .. وان القاتل يجب ان يلقى جزاءه في جميع الأحوال ..

– وماذا فعلوا بذلك الشاب ؟

– أظن ان عقوبة الاعدام كانت قد الغيت .. او أنه نجا من المشنقة لصغر سنه .. ومهما يكن الأمر فانهم وجدوه مذنباً وأرسلوه إلى إحدى الاصلاحيات .

– ماذا كان اسم هذا الشاب ؟

– كان اسمه مايكل .. ولا أذكر لقبه .. إن الجريمة حدثت منذ عشرة اعوام .. ولا يمكن ان اذكر لقبه بعد كل هذه السنين .. انه كالأسماء الايطالية وهو يقترن في ذهني باسم صورة .. او فنان .. أفاييل .. أو رافي ..

– مايكل رافيل .

– هو ذاك .. وقد أشيع ان أباه واسع الثراء وانه استطاع تهريبه من السجن .. ولكنني اعتقد ان ذلك كان مجرد اشاعة ..

* * *

اذن فالفتاة لم تنتحر .. وانما قتلت .

لقد قالت اليزابيث تمبل ان (الحب) كان السبب في موت الفتاة . وذلك صحيح الى حد ما .. فقد أحبت الفتاة قاتلاً .. وبسبب هذا الحب لقيت حتفها .

* * *

في ذلك الصباح ، عندما هبطت مس ماربل إلى الطابق الاول لم تجد واحدة من مضيفاتها ، ربما لان الوقت كان مبكراً .. ففتحت الباب وأخذت تطوف بالحديقة ، ليس لأنها كانت معجبة بها ، وانما لانها أحست احساساً غامضاً بأن فيها شيئاً جديراً بالملاحظة .. شيئاً يمكن ان يوحي اليها بفكرة .. ولكنها لا تعرف بالتحديد ما هو ..

ولم يكن يهمها في ذلك الوقت أن تقابل احدى الشقيقات لأنها كانت بحاجة الى الهدوء . لكي تفكر فيما سمعته من الخادمة العجوز جانيت .

وجدت أحد أبواب الحديقة مفتوحاً ، فخرجت منه وسارت في شارع القرية ، ومرت ببعض الحوانيت الصغيرة ووجدت نفسها وجهاً لوجه أمام كنيسة القرية فدخلتها ..

كانت كنيسة قديمة يرجع تاريخها إلى العهد الفكتوري ولكن يد الاصلاح امتدت إليها في وقت ما فأقامت ما تداعى من جدرانها .

وجلست مس ماربل على احد المقاعد وراحت تفكر . . ترى هل امسكت أخيراً بطرف الخيط .. ؟

لقد بدأت الأمور تتصل وتستقيم ولكن بطريقة أبعد ما تكون عن الوضوح .

منذ نحو عشرة اعوام قتلت احدى الفتيات ، واتهم شاب بقتلها .. واسدل الستار على المأساة وانتهى الأمر . لا لغز ولا مشكلة .. فماذا في استطاعتها أن تفعل .. ؟ وماذا يريدها مستر رافيل أن تفعل .. ؟

لا بد ان تحدثها اليزابيث تمبل بالمزيد ..

لقد تحدثت عن فتاة كانت مخطوبة لمايكل رافيل .. ولكن هل ذلك صحيح .. ؟

لعل الاصح هو القصة التقليدية التي ألفت سماعها في قريتها : الفتاة تلتقي

بالشاب . وتتطور العلاقة بينهما . وتتورط الفتاة ، وتحمل سفاحـا ، فتطلب إلى الشـاب أن يقترن بها ، ولكنه لا يريد الزواج ولعله لم يفكر في الزواج أو لعل أباه لا يوافق على هذا الزواج ، وتصر أسرة الفتـاة على ضرورة اصلاح الموقف ، ويكون الشـاب قد سئم الفتاة أو يكون قد اتصل بفتاة أخرى ، فيقرر حسم الموقف بطريقة سريعة وحشية ، ويخنق الفتاة ويهشم رأسها حتى لا يتعرف عليها أحد ..

تلك هي القصة التقليدية المألوفة ..

وعندما وصلت مس ماربل في تفكيرها إلى هذا الحد .. نهضت واقفة .. وأجالت حولها نظرة أخيرة .

كان الهدوء شاملاً .. ولا شيء حولها يدعو إلى التفكير في الشر والجريمة خلافاً لما أحست به في البيت القديم وما رابها في قلق أنثيا وحزنها ونظراتها التي تنم عن الخوف والجزع .

ترى هل تعرف الشقيقات الثلاث شيئاً .. ؟ وما هو ؟ لا بد أن تحـاول الاتصال باليزابت تمبل غداً .. لكي تعرف منها المزيد .

وعادت مس ماربل أدراجها إلى البيت وهي متعبة مكدودة لا تكاد تشعر بأنها تقدمت خطوة واحدة .

كان الجديد الذي عرفته .. هو المأساة القديمة التي روتها جانيت ، ولكن ما أكثر المآسي التي تعيها ذاكرة الخدم في القرى ويتناقلوها جيلاً بعد جيل ..

وعندما اقتربت ، من البيت ، وجدت مسز جلين في انتظارها بالبـاب ، وما ان أبصرت بها حتى خفت لاستقبالها وهي تهتف :

— اهذه انت .. ؟ كنت واثقة انك خرجت للنزهة ، واشفقت عليك من التعب .

فقالت مس ماربل :

ـ لقد تجولت قليلا ، ودخلت الكنيسة ..

ـ لا شك أنك لم تجدي فيها ما يلفت النظر فقد أفقدتها الترميمات المتتالية ميزاتها المعمارية القديمة .

ـ الواقع انني لم أهتم بدراسة طرازهـا .. انما ذهبت اليها لأنني أعلم أن الكنائس هي محور الحياة الاجتماعية في القرى . هل نشأت في هذه المنطقة يا مسز جلين .. ؟

ـ كلا . كان أبي ضابطـاً في المدفعية ، وكنا نقيم في هراسلي ، على بعد ثلاثين ميلا من هنا .. وكان أبي يأتي بنا أحياناً إلى هذا البيت لزيارة عمي ، ثم إنتقلت شقيقتاي إلى هنا بعد وفاة العم ، أما أنا فقد كنت وقتئذ في الهند مع زوجي الذي توفي منذ اربعة أو خمسة أعوام .

ولما عدت من الهند أقمت في كوخ صغير أملكه بالقرب من لندن ، ولكني شعرت بالقلق على اختي ..

ووجدت من الضروري أن أكون على مقربة منهما .

ـ هل قلقت عليهما بسبب حالتهم الصحية .. ؟

ـ كلا . فقد كانت كلوتيلد دائماً قوية البنية . ولكن انثيا تثير قلقي أحيانا .. انها غامضة وتشرد أحياناً فلا تدري أين هي .

ـ ذلك ما يفعله القلق بالناس .. وما أكثر ما يقلق الناس في هذه الايام .

ـ كلا .. كلا .. انها ليست قلقة ، ولكنها مهمومة .. فهي تذكر الحديقة كما كانت في عهدها الغابر وتريد أن تنفق عليها لتعيدها إلى حالتها الاولى وكثيراً ما حاولت كلوتيلد اقناعها بأن ظروفنا المالية في الوقت الحاضر لا تسمح بذلك ولكنها لا تفتأ تتحدث عن بيت الزهور وأشجار الخوخ ..

ـ والاعناب ذات الرائحة الزكية .

ـ هل حدثتك عنها .. ؟ انها لا تبرح ذاكرتها .. ولكن كلوتيلد لا تريد

أن تسمع شيئاً عن بيت الزهور وأشجار الخوخ..

فقالت مس ماربل وهي تدخل البيت مع مضيفتها :

ـ أظن انني يجب أن الحق بالرحلة غداً .. انهم سيتحركون في الساعة التاسعة صباحاً على ما فهمت .

ـ ارجو الا تكون رحلة متعبة ..

ـ أظن انني سأكون في خير حال بعد الرحة التي أخذتها .

الفصل الحادي عشر

الحادث

تناولت مس ماربل شاي الصباح في منتصف الساعة الثامنة حتى يتهيأ لها الوقت الكافي لاعداد حقيبتها ·

وكانت بسبيل غلق الحقيبة حين سمعت طرقات سريعة على باب غرفتهـــا ودخلت كلوتيلد وهي بادية الاضطراب ·

هتفت قائلة :

ـــ أواه يا مس ماربل ·· لقد جاء شاب من رفاقك في الرحلة يدعى املين برايس ·· يقول انهم أرسلوه لمقابلتك ·

ـــ انني اذكره ·· هل هو شاب في مقتبل العمر ؟

ـ نعم شاب من الجيل الجديد بشعره الطويل وثيابه ذات الألوان الصارخة ·· ولكنه جاء لينهي اليك نبأ سيئاً ··· فقد وقع حادث ··

فدهشت مس ماربل وهتفت :

ـ وقع حادث .. ؟ للسيارة .. ؟ هل أصيب أحد .. ؟

ـــ كلا .. ليس للسيارة .. لقد وقع الحادث بعد ظهر أمس خلال الرحلة .. كانت الريح عـــاصفة .. وكان أعضـــاء الرحلة في طريقهم لشهود البرج التذكاري فوق تل (بونافنشر) . ويبدو انهم تفرقوا ، فارتقى بعضهم التل

مباشرة ، وسار البعض الاخر في الطريق المألوف على السفح للوصول إلى القمة . ولم يكن هناك من يرشدهم أو يوجههم .. ثم حدث ان انهارت بعض الصخور من قمة التل فأصابت واحداً ممن كانوا على السفح .

– رباه .. هذا مؤسف حقاً .. ولكن من الذي أصيب . ؟

– فهمت من الشاب انها سيدة تدعى مس تمبل .

– اليزابيث تمبل .. يا الهي .. انها كانت بجواري في السيارة .. وهي شخصية معروفة .. كانت ناظرة لاحدى المدارس .

فقالت كلوتيلد :

– انني أعرفها جيداً كانت ناظرة مدرسة (فالوفيلدا) المشهورة . ثم تقاعدت منذ عام او عامين .. وحلت محلها ناظرة شابة ذات آراء تقدمية .. ولكن مس تمبل ليست عجوزاً .. انها على جانب عظيم من النشاط ، وتهوى الرياضة والرحلات وتسلق الجبال .. ولم يخطر لي ببال انها في هذه الرحلة .. إنني لم أعرف التفصيلات ولكني أرجو الا تكون اصابتها خطيرة .

فقالت مس ماربل وهي تلقي نظرة أخيرة على الحقيبة :

– لقد فرغت من هذه الحقيبة فهلمي بنا ..

فقالت كلوتيلد وهي تتناول الحقيبة :

– دعيني أحملها عنك .. وكوني على حذر وأنت تهبطين السلم .

* * *

ووجدت مس ماربل أملين برايس في انتظارها بالباب .

كان مشوش الشعر أكثر من المعتاد ، ويرتدي جاكتة من الجلد وسروالاً أخضر .

قال وهو يشد على يدها :

– هل علمت بالحادث المؤلم الذي وقع لمس تمبل ؟. انني لا أعرف كيف

حدث ولا أعلم أكثر من أن حجراً سقط من القمة وانحدر على السفح وهوى عليها فأصيبت بارتجاج في المخ ونقلت إلى المستشفى ليلة أمس ، وأعتقد ان حالتها سيئة ..

وقد جئت لكي أقول لك ان رحلة اليوم قد ألغيت واننا سنقضي الليلة هنا.

– انني آسفة حقاً ..

– أظن انهم قرروا الغاء رحلة اليوم انتظاراً لتقرير الطبيب .. وسنقضي الليلة في الفندق وسوف يترتب على ذلك إجراء بعض التعديل في برامج الرحلة وقد ذهبت مسز ساندبورن إلى المستشفى في ساعـــة مبكرة من صباح اليوم ولكنها ستلحق بنا في الفندق في الساعة الحادية عشرة ، ولذلك خطر لي انك ربما تودين العودة إلى الفندق لسماع آخر الأنباء .

فقالت مس ماربل :

– سأعود معك فوراً بطبيعة الحال .

وتحولت لوداع كلوتيلد ولافينيا التي كانت قد انضمت اليهم .. قالت :

– يجب أن أشكركما على ما لقيت هنا من حفـــاوة ، والواقع انني قضيت ليلتين رائعتين نعمت فيهما بالراحة التامة .

فقالت لافينيا :

– إذا أردت قضاء ليلة أخرى فأنا واثقة من أن ..

ونظرت إلى كلوتيلد :

ولمحت مس ماربل في عيني كلوتيلد نظرة اعتراض ، ولاحظت انهـا هزت رأسها هزة خفيفة لا تكاد ترى فأدركت انها لا توافق على اقتراح اختهـا .. التي استطردت قائلة بلسان متلعثم :

– صحيح ان الأفضل في مثل هذه الظروف أن تكوني مع الآخرين .. ولكن !.

فقاطعتها مس ماربل :

- نعم .. ذلك أفضل .. ولو على الأقل لكي أعرف كيف سينصرفون، وربما استطعت أن أكون ذا فائدة بطريقة أو بأخرى .. وأعتقد انني سأجد لنفسي مكاناً في الفندق فشكراً مرة أخرى .

فقال أملين برايس :

– ان بالفندق غرفاً كثيرة خالية وأظن ان مسز ساندبورن قد حجزت فيه أماكن لكل أعضاء الرحلة .

وحمل الشاب حقيبة مس ماربل ، وقال وهو يوسع الخطى :

- إن الفندق قريب من هنا .. في الشارع التالي إلى اليسار .

– أعلم ذلك .. مسكينة مس تمبل .. أرجو ألا تكون إصابتها جسيمة .

– لقد نقلت إلى مستشفى (كاريستاون) على بعد ثماني كيلومترات .. إذ لا توجد هنا مستشفيات ولا شك انك تعرفين العبارة المألوفة التي يقولها الأطباء عادة عن حالة المصابين ، من أنها ليست أسوأ مما كان متوقعاً .. أما أنا شخصياً .. فأعتقد ان اصابة مس تمبل جسيمة .. وعلى كل حال فان مسز ساندبورن ستأتينا بالخبر اليقين .

ووصلا إلى الفندق ليجدا أعضاء الرحلة يتناولون طعام الافطار ، وسمعا مسز بتلر تقول لزوجها :

– أليس من المزعج ان الحادث المحزن ونحن في أجمل مرحلة من مراحل الرحلة ؟. مسكينة مس تمبل كنت أظن دائماً انها أوفرنا نشاطاً وأثبتنا قدماً.

فقال زوجها :

– أنت تعلمين أن وقتنا محدود ، وقد كنت أفكر في التو واللحظة في انهاء رحلتنا عند هذا الحد ، لأن الأمور لن تستقيم بسرعة أو بسهولة .. وإذا حدث مالا نتوقعه أو نرجوه فلا بد أن تشرح الجثة ويجرى تحقيق ..

فهتفت زوجته :

- بالله لا تقل هذا الكلام المخيف يا هنري ..

وقالت مس كوك :
- إنك شديد التشاؤم يا مستر بتلر .. أنا واثقة من أن الإصابة ليست بهذه الخطورة .
وقال كاسبار برطانته الأجنبية :
- بل انها خطيرة للغاية .. لقد سمعت حديث الطبيب إلى مسز ساندبورن ..قال انه ارتجاج في المخ .. وانه لا بد من استدعاء طبيب متخصص ليرى ما إذا كان يمكن إجراء جراحة .

فقالت مس لوملي العجوز لصديقتها :
- ربما كان الأفضل أن نعود إلى بيوتنا يا ملدريد ..
ثم التفتت إلى مسز بتلر وقالت :
- انني اتفقت مع الجيران على ترتيب خاص لقططي .. واخشى إذا تأخرت يوماً او يومين أن يحدث مالا تحمد عقباه .

وقالت جوانا لعمتها :
- هل ترين مانعاً من أن أخرج مع أملين للنزهة في القرية .. ان ذلك أفضل من الجلوس هنا والاصغاء الى شتى الملاحظات المحزنة .

فقالت مس كوك :
- انني أؤيد هذا الرأي .
وقالت مس بارو قبل أن تتمكن مسز بورتر من الاجابة :
- اذهبي يا بنية .. اذهبي .

قالت ذلك ونظرت إلى مس كوك ، ونظرت مس كوك اليها . وتنهدتا..
وانتهى طعام الافطار ، وبدأت دلائل القلق تبدو على وجه أعضاء الرحلة لقد أبدى كل منهم رأيه في الكارثة ، وعبر عن دهشته أو حزنه .. ولم يبق لهم الا أن يجلسوا في وجوم في انتظار الأخبار .
وأخيراً نهضت مس كوك وقالت انها ستذهب إلى القرية لتتسوق ..

وحذت مس بارو حذوها .. وتبعهما الكولونيل ووكر وزوجته وقالا انهما سيخرجان للنزهة في الحقول .. وقال بتلر وزوجته انهما سيحاولان البحث في حوانيت القرية عن تحف يقتنيانها ، وانطلق أملين برايس للحاق بجوانا .. والتفت الأستاذ وانستد إلى مس ماربل وقال :

- أظن ان الجلوس في شرفة الفندق المطلة على الطريق أفضل من البقاء هنا .. ألا ترين ذلك أنت أيضاً ؟.

فنهضت مس ماربل ..

لم تكن قد تبادلت معه كلمة واحدة خلال الرحلة ، ولكنها لاحظت انه يحمل دائماً كتاباً في يده . ولا يكف عن القراءة حتى في السيارة ..

قال لها :

- انني أفضل الانتظار في مكان هادىء حتى تعود مسز ساندبورن .. فان من الضروري أن نعرف حقيقه الموقف .

فقالت مس ماربل :

- انني اتفق معك في ذلك ..

وخرجا إلى الشرفة .. وكانت خالية من النزلاء وبهـــا عدد من المقاعد المصنوعة من القش .

وقدم اليها وانستيد مقعداً ، فانتهزت الفرصة .. ونظرت اليه ملياً .. الى حاجبيه الكثيفين ووجهه الجمد وشعره الغزير الذي وخطه الشيب .

قال لها :

. هل أخطىء اذا قلت انك مس جين ماربل ؟

- نعم .. أنا جين ماربل .

وكان صوتها ينم عن الدهشة .. وان لم يكن هناك ما يبعث عليها ، فقد قضى أعضاء الرحلة معاً وقتاً طويلاً يكفي لأن يعرف كل منهم الآخر .

قال وانستيد

هذا ما توقعته مما علمته عن أوصافك

- اوصافي ؟

وكان صوتها مفعماً بالدهشة . فقال وانستيد بصوت خـــافت ولكنه مسموع :

- نعم .. لقد وصفك لي مستر رافيل .

- مستر رافيل ؟

- أيدهشك ذلك ؟

- الى حد ما .

- لم أتصور لحظة واحدة أن ذلك سيدهشك ..

- الحقيقة انني لم أكن أتوقع ..

ولم تتم عبارتها ، ولم يتكلم وانستيد وانما راح يتأملها ويحدق فيهـــا كما يفعل الطبيب حتى توقعت أن يسألها :

- ما هي الأعراض التي تشعرين بها يا سيدتي العزيزة ؟

قالت له :

متى وصفني لك ؟. لا بد انه فعل ذلك .

فقاطعها :

- تريدين أن تقولي انه فعل ذلك قبل موته ببضعة أسـابيع ؟ نعم .. ذلك ما حدث .. وقد قال لي انك ستشتركين في هذه الرحلة .

- وهل كان يعلم انك أنت أيضاً ستشترك فيها ؟

- نعم ..

- الواقع انني دهشت أشد الدهشة حين علمت أنه هيـأ لي هذه الفرصة الفريدة التي ما كانت لتتاح لي لولا كرمه .

فأطرق وانستيد برأسه ولم يجب ، واستطردت مس ماربل قائلة :

- وانه لمما يؤسف له حقاً أن يقع هذا الحادث فيعكر صفونا ..

- نعم .. انه حادث محزن لم يكن متوقعاً .. أو لعله كان متوقعاً .. فما رأيك ؟.

فبهتت وسألته

- ماذا تعني بذلك يا أستاذ وانستيد ؟.

- لقد حدثني عنك مستر رافيل باسهاب ، واقترح ان اشترك معك في هذه الرحلة . لكي يتم التعارف بيننا على نحو ما هو مألوف في مثل هذه الرحلات حين ينقسم اعضاؤها الى جماعات .. كل جماعة تضم عـدداً من ذوي الميول والاهتمامات المتشابهة .

كذلك اقترح عليّ مستر رافيل أن الاحظك وأراقبك .

فقالت مستنكرة :

- تلاحظني وتراقبني ؟. لماذا ؟.

- لحمايتك فيما أظن .. لم يكن يريد أن يحدث لك حادث ..

- ماذا كان يمكن أن يحدث لي ؟.

- ما حدث لاليزابيث تمبل مثلاً ..

وفي هذه اللحظة ، مرت جوانا كروفورد وبيدها سلة ، فنظرت اليهما في فضول ومضت، في طريقها إلى داخل الفندق ، فقال وانستيد وهو يشيعهـا ببصره :

- فتاة ظريفة .. ان عمتها المستبدة تستخدمها الآن فيما تستخدم فيه الدواب .. ولكني واثق من أنها ستشق عليها عصا الطاعة قريباً وقريبـاً جداً !

ولكن الحديث عن جوانا كروفورد لم يكن يهم مس ماربل او يعنيها . قالت بحدة :

- ماذا كنت تعني بما قلت في التو واللحظة .

- هذه مسألة يجب أن نناقشها بمناسبة ما حدث .

– تعني ذلك الحادث الذي وقع لمس تمبل ؟.
- نعم .. اذا كان حادثاً .
– هل تظن انه لم يكن قضاء وقدراً ؟.
– ذلك محتمل .
– ربما . فأنا لا أعرف عنه شيئاً .
– ذلك لأنك كنت غائبة عن المسرح . أو دعينا نقول .. لأنك كنت وقت الحادث تؤدين واجبك في مكان آخر ..
فصمتت مس ماربل ، ونظرت اليه من ركن عينيها مرة او مرتين .. ثم قالت :
– لست أفهم ماذا تعني ..
– بل أنت تفهمينني جيداً .. ولكنك تحذرينني ولك كل الحق في ذلك لأنك لا تعرفين شيئاً عني .. كل ما تعرفينه هو اسمي كما جاء في قائمة أعضاء الرحلة ..

مهما يكن من أمر فإن مهمتي كانت أن أراقبك وألاحظ ما تفعلين وان أكون على مقربة منك فيما لو حاق بك خطر من أي نوع .. ولكن الموقف الآن تغير بعض الشيء ، وأصبح من واجبك أن تقرري هل أنا خصم أم حليف
– ربما كنت على حق .. إنك عرضت الموقف بوضوح ، ولكني لا أعرف عنك ما يساعدني على الحكم عليك .. فهل كنت صديقاً لمستر رافيل ؟.
– كلا .. أنا لم اكن صديقاً لمستر رافيل .. لقد قابلته مرة او مرتين في اجتماع مجلس إدارة احد المستشفيات ولكني كنت أعرف الكثير عنه واعتقد انه كان يعرف الكثير عني .. انني اخشى ان تتهميني بالغرور يا مس ماربل إذا قلت انني شخص بارز في المهنة التي ازاولها .
– هل تزاول الطب ؟.
– أرى انك قوية الملاحظة يا مس ماربل .. نعم .. انني ازاول الطب ،

وتخصصي هو الطب النفسي .. وعملي قاصر على الخبرة الطبية في القضايا الجنائية .. فلقد توفرت على دراسة عقلية المجرمين على اختلاف انواعهم ، وقضيت في ذلك سنوات عديدة ، ولي في هذا الموضوع مؤلفات اثارت كثيراً من الجدل في الدوائر الطبية .

فقالت مس ماربل :

- ما دام الأمر كذلك فلعلك تستطيع ان توضح لي بعض أمور لم ير مستر رافيل من المناسب أن يوضحها لي ، لقد طلب الي الاضطلاع بمهمة معينة ولكنه لم يمدني بمعلومات أعمل على ضوئها ، وكانت حماقة منه ان يعالج الموضوع بهذه الطريقة .

- ولكنك قبلت المهمة ؟

- سأكون صريحة معك .. انني قبلتها بسبب الحافز المالي .

- وهل يهمك الحصول على هذا المال ..

فصمتت مس ماربل لحظة ثم قالت :

- قد لا تصدقني إذا قلت لك انه لا يهمني .

- إذن فقد أثارت المهمة فضولك ؟

- نعم .. انها أثارت فضولي .. كانت معرفتي بمستر رافيل سطحية فقد قابلته لأول مرة في احدى جزر الهند الغربية .. ولا بد انك تعرف شيئاً عن هذا الموضوع .

- أعرف انكما تعاونتما معاً هناك .

- هل قال لك ذلك ؟

- نعم .. وقال ان لك حاسة سادسة فيما يختص بالجرائم .

- ألم يثر ذلك دهشتك ؟

- انني قلما أدهش .. ثم ان مستر رافيل كان رجلاً حصيفاً يحسن الحكم على الناس .

وسكت لحظة ثم قال :

– المفهوم اننا اجتمعنا هنا مصادفة أو بتدبير سابق لكي نبحث أموراً معينة .. ونحن الآن وحدنا ولا أحد يرانا أو يسمعنا ، فلماذا لا نتحدث في صراحة ؟

– انني أرحب بذلك ولكني أؤكد لك انني أجهل تماماً ما يراد مني ، ولا أدري لماذا تعمد مستر رافيل أن يتركني في الظلام .

– لعله أرادك أن تعالجي بعض الحقائق والأحداث بعقل مفتوح وبلا تحيز .

– اذن فليس في نيتك أنت أيضاً أن تمدني بمزيد من المعلومات ؟

فابتسم وانستيد وأجاب :

– بل سأذكر لك حقائق معينة توضح لك بعض الأمور .

– اذن تكلم بحق السماء ..

الفصل الثاني عشر

استشارة

قال وانستيد :

ــ سأحدثك بايجاز عن الظروف التي أقحمتني في هذه القضية .. انني اعمل بين وقت وآخر مستشاراً لوزارة الداخلية ، كما انني على اتصال بالمؤسسات التي يودع بها المتهمون في جرائم معينة ، لمدة معينة ، او إلى اجل غير مسمى ، وفقاً لاعمارهم وامراضهم العقلية والنفسية .. تنفيذاً للاحكام التي اصدرتهـــا محاكم الأحداث .

وقد جرت العادة أن أستشارفي أمر المجرمين عقب اعتقالهم وانتهاءالتحقيق معهم ، لتقرير مدى مسئوليتهم عن الجرائم التي ارتكبوها ، ونوع المعاملة التي يجب ان يعاملوا بها اثناء اعتقــالهم ، والعقوبة المشددة او المخففة التي ينبغي ان تطبق عليهم .

ويحدث احياناً أن يتصل بي مدير احدى هذه المؤسسات لاستطلاع رأيي في حالة بعينها .

وذات يوم ، تلقيت عن طريق ورارة الداخلية رسالة من مدير احدى المؤســـات فذهبت لمقــابلته ، واكتشفت انه من اصدقائي القدامى الذين انقطعت صلتي بهم منذ وقت طويل .

وعرض علي الرجل المشكلة التي تقلقه ، وهي مشكلة خاصة بمذنب شاب أرسل إلى تلك المؤسسة قبل أن يسند اليه ادارتها ببضع سنوات .

قال ان له خبرة بالمذنبين المرضى ، وانه فحص ملف هذا المذنب الشاب .. وسوابقه المتعددة فوجد انه انسان منحرف منذ نعومة أظافره ، انسان مستهتر لا يقيم وزناً للمسؤولية .. بل مجرم بطبعه وغرائزه، فارتكب جرائم السرقة والتزوير والاحتيال ، وهتك العرض .. صفوة القول انه كان من أولئك الابناء الذين يجلبون العار على ذويهم .

فغمغمت مس ماربل قائلة :

– فهمت ..

– فهمت ماذا ؟

– فهمت انك تتحدث عن ابن مستر رافيل .

– اصبت .. اني أتحدث عن ابن مستر رافيل ، فماذا تعرفين عنه ؟ .

– لا شيء .. انما سمعت – وكان ذلك بالأمس فقط – ان لمستر رافيل ابناً منحرفاً ذا ماض حافل بالجرائم .. هل كان هو الأبن الوحيد لمستر رافيل ؟

– نعم . كان ابنه الوحيد . ولكن كانت له ابنتان أخريان ماتت احداهما وهي في الرابعة عشرة من عمرها ، وتزوجت الأخرى وهي سعيدة في حياتها الزوجية ولكنها لم ترزق بأولاد .

– مسكين ذلك الرجل !!

– ربما .. ولقد ماتت زوجته وهي في شرخ الشباب ، وأعتقد ان حزنه عليها كان عظيماً رغم حرصه على اخفائه . ولا اعلم الى اي مدى كان يهتم بأولاده ، ولكني واثق من انه كان يعنى بهم أشد العناية وأنه بذل قصارى جهده من أجل ابنه .. أما ماذا كان شعوره نحو هذا الابن فذلك ما لا اعلمه فقد كان من المتعذر قراءة او معرفة مشاعره . واعتقد أن كل حياته واهتماماته كانت تتركز في عمله كرجل مالي ، شأنه في ذلك شأن جميع الناجحين من

رجال المال والاعمال . لم يكن شغوفاً بالمال ذاته . بقدر شغفه بالنجاح .
وأكبر الظن انه فعل ما يستطيع من أجل ابنه ، وانه استخدم أعظم المحامين لانقاذه من تبعات جرائمه كلما كان ذلك مستطاعـاً إلى ان حلت الكارثة الكبرى ، حين اتهم الشاب بالاعتداء على احدى الفتيـات وهتك عرضهـا ، فحكم عليه بالسجن ، وراعت المحكمة صغر سنه ، فلم تأخذه بالشدة .

وبعد أن قضى مدة العقوبة . جاءت الكارثة الثانية والاخيرة .

ـ قتل احدى الفتيات اليس كذلك ؟

ـ ذلك ما قيل لي .

ـ انه غرر بها وحملها على الهرب معه ... ثم وجدت جثتها بعد بضعة شهور وأثبت الفحص الطبي انها خنقت ثم هشم رأسها بحجر أو بأداة ثقيلة لاخفـاء معالم وجهها حتى لا تعرف شخصيتها .

ـ يا له من وحش !!

ـ اهذا رأيك فيه ؟

ـ ان الجرائم التي من هذا النوع تثير غضبي واشمئزازي . واذا كنت تتوقع مني أن أعبر عن أسفي وعطفي على هذا المجرم ، أو أن التمس له عذراً من طفولته أو تربيته أو بيئته .. فأنت مخطيء .

انني لا أحب الشر ولا الاشرار ..

فقال وانستيد :

ـ يسرني أن أعلم ذلك . انك لا يمكن أن تصدقي كم أغناني في مهنتي من أولئك الذين يبكون ويولولون ويصرفون بـأسنانهم ويلقون اللوم كلهم على البيئة والوراثة والطفولة التعيسة .. ولو علم هؤلاء في أية بيئة يعيش بعض الناس وبأية قسوة يعاملون ، وأية صعوبات يلقون في حياتهم .. ومع ذلك يخرجون من هذه المحن كراماً شرفاء . لما بكوا وولولوا والقوا اللوم على غير انفسهم انني اشفق على المرضى والمتخلفين عقليـاً والذين لا يستطيعون السيطرة على

أنفسهم والتحكم في تصرفاتهم .

ولكني لا ألوم البيئة أو الظروف . هل تفهمين ما أعني ؟ .

– نعم .

– لنعد الى قصتنـــا .. لقد أوضح لي مدير تلك المؤسسة سبب حرصه على معرفة رأي فيما يهمه ويشغل بالهفقال ان اتصالاته بذلك المذنب الشاب وتجاربه معه ودراسته له . قد أقنعته بأنه لا يمكن أن يكون قاتلا .. فهو لا يشبه أي قاتل ممن رآهم قبلا . ان له عقلية الجرم ولا يمكن اصلاحه أو تقويمه مهما عواج .. ولكنه ليس قاتلا . ثم قال انه لا يستطيع أن يصدق ان هذا الشـــاب قد خنق فتاة ثم ألقى جثتها في حفرة . واهوى على وجهها بحجر . و انه توفر على دراسة ملف القضية .. وما تضمنه من حقائق وأدلة .. تتلخص في أن الشاب كان يعرف الفتاة ، وأنه شوهد معها مراراً في مناسبات مختلفة قبل الجريمة .

وانهما مارسا الجنس معاً ، وأن سيارته شوهدت بالقرب من مكان الجريمة .

فالأدلة اذن قوية .. وقاطعة . ولكن رأيه الشخصي الذي تولد من تجـاربه ومن دراسته للمتهم الشاب تتعـارض مع الادلة .. ولذلك فكر بدافع تعصبه الغريزي للحق والعدل في استطلاع ر'ي خبير في الطب النفسي .. ولما كنت متخصصاً في هذا الفرع من الطب فقد ارسل في طلبي لكي أقابل المتهم واتحدث اليه ، وأقومه ، وأبدي رأي الطب النفسي فيه .

فقالت مس ماربل :

– هوذا رجل نزيه محب للعدل رجل جدير بالاحترام ويجب التعاون معه

– لقد تعاونت معه ، وقابلت المتهم ، وتحدثت اليه ، وتوفرت على دراسته من جميع النواحي، وناقشته في النقط القانونية التي يمكن اثارتها .. بل وقلت له انه من المحتمل أن نستعين بأحد كبار المحامين لابراز النقط التي في مصلحته .. تحدثت اليه كصديق . وتحدثت اليه كعدو .. لكي أرى ردود الفعل في الحالتين . واخضعته لعديد من الاختبارات العلمية التي يلجأ اليها الطب النفسي

الحديث .

- وماذا كان رأيك في النهاية؟ .

- كان رأيي ان مدير المؤسسة على حق ، وان مايكل رافيل لا يمكن أن يكون قاتلا .

- وماذا عن القضية الأولى التي أدين فيها بالاعتداء على احدى الفتيات وسجن ؟ .

- كانت قرينة ضده بطبيعة الحال ، ولكنها لم تؤخذ في الأعتبار ، وقد بحثت وقائع هذه القضية مؤخراً ، ووجدت انها ليست قضية هتك عرض بالمعنى المفهوم ، فالفتيات في هذه الايام اكثر استجابة لغريزة الجنس ، وأقل مقاومة للاعتداء ولكن امهاتهن يصورن على وصف المغامرة الجنسية بأنها أعتداء وهتك عرض ، وقد ثبت ان الفتاة التي نحن بصددها كان لها اكثر من صديق ، وان العلاقة بينها وبينهم تجاوزت حدود الصداقة البريئة .. ولهذا اعتقد أن هذه القضية الأولى لم تؤخذ في عين الأعتبار عند نظر القضية الثانية .

- وماذا فعلت بعد ذلك ؟ .

- اتصلت بمستر رافيل ، وقلت له انني أريد مقابلته لأمر خاص بابنه ، وتقابلنا ، وأوضحت له وجهة نظري ووجهة نظر المؤسسة التي يقضي فيها ابنه العقوبة . وقلت له انه لا يوجد لدينا دليل يبرر المطالبة باعادة نظر القضية ولكننا على يقين من ان الحكم صدر مجافياً للعدالة . فهو خطأ من أخطاء حكم القضاء ..

ثم اقترحت عليه القيام بتحقيق ربما يتكلف كثيراً من النفقات . ولكن يحتمل أن يكشف عن حقائق تقنع المسئولين باعادة نظر القضية .

وكنت قد لاحظت أثناء الحديث ان مستر رافيل مريض جداً ، ولم يلبث هو نفسه ان اعترف بذلك قائلاً ان الأطباء انذروه منذ عامين بأنه سيموت بعد عام واحد ، ثم وجدوا فيما بعد انه قد يعيش أكثر مما قدروا له ، لصلابته

وقوة احتماله واصراره على الحياة .

ثم سألته عن شعوره نحو ابنه :

– .. ماذا كان شعوره ؟

– كان صريحاً معي رغم ..

– رغم جفائه ..

– هذا هو الوصف الصحيح يا مس ماربل .. كان رجلاً جافاً بقدر ما كان أميناً .. قال انني اعرف ابني على حقيقته منذ سنوات عديدة ، ولم أحاول تقويمه لأنه ليس في مقدور أحد أن يقومه .. فهو معوج ومطبوع على الشر ، واذا خرج من ورطة وقع في أخرى ، لذا نفضت يدي منه فيما عدا انني كنت أمده بالمال والمعونة كلما اطبق عليه القانون ، لقد فعلت من أجله كل ما استطيع ، ولو كان لي ولد مريض أو مصاب بالشلل او الصرع لفعلت من أجله كل ما استطيع . لا أكثر ولا اقل .. والآن .. ماذا أستطيع أن افعل من أجله ؟

فقلت له : ان ذلك يتوقف على ما يريد هو ان يفعله .

فأجاب : ان الأمر واضح .. فأنا الآن مريض لا حول لي ولا قوة .. ولكنني أعرف ما ينبغي عمله ، ينبغي ان يرد له اعتباره وأن يطلق سراحه لكي يعيش على نحو ما يريد ، فاذا اراد المضي في عبثه وشروره فذلك شأنه ، سأترك له مالاً يعيش منه .. وسأفعل كل ما استطيع من أجله . انني لا اريده ان يسجن ويتألم ويعزل عن الحياة بسبب غلطة طبيعية تبعث على الأسف .. فإذا كان رجل آخر قتل الفتاة فانني أريد ان يعرف ذلك ويذاع على الملأ ..

انني أريد العدالة لمايكل . ولكنني انسان مريض . وما بقي لي في الحياة يحسب بالأسابيع لا بالشهور او السنين .

فقلت له : انني أعرف من المحامين من يستطيع ..

ولكنه قاطعني بقوله :

ـ لا جدوى من المحامين .. في استطاعتك أن تستخدمهم .. ولكن لا جدوى منهم .. سأحاول تدبير الأمر بنفسي في حدود الفترة القصيرة التي سأعيشها .

وعرض علي مبلغاً كبيراً لأقوم بالبحث عن الحقيقة دون أن أدخر في سبيل ذلك جهداً أو مالاً .. وقال : أنا شخصياً لا أستطيع عمل شيء لأن الموت قد يدهمني في أية لحظة . ولكنك ستكون أكبر عون لي وسأختار لك الشخص الذي يساعدك في مهمتك .

قال ذلك وكتب اسمك (مس ماربل) واستطرد قائلاً :

ـ لن أذكر لك عنوانها لأنني أريدك على أن تقابلها في المكان والظروف التي سأحددها ..

ثم حدثني عن رحلة (جمعية القصور التاريخية والحدائق المشهورة) وقال انه سيحجز لي مكاناً فيها .

قال : وستكون مس ماربل في هذه الرحلة أيضاً وهكذا تلتقيان وكأن الأمر مجرد مصادفة .

وصمت والنستيد لحظة ثم قال :

ـ كان علي أن أختار الوقت المناسب لأعرفك بنفسي إذا رأيت ذلك ضرورياً .. أو ألا أعرفك بنفسي إذا رأيت ذلك أفضل .

انني أتوقع أن تسأليني ، عما إذا كان لدي أو لدى صديقي مدير المؤسسة من الأسباب ما يحملنا على الارتياب في أن شخصاً بعينه قد ارتكب الجريمة التي اتهم فيها مايكل .. ولذلك أبادر فأقول لك اننا لا نرتاب في أحد ، وان صديقي مدير المؤسسة قد بحث هذا الموضوع مع ضابط الشرطة الذي أشرف على تحقيق الجريمة ، وهو ضابط كفء له خبرة واسعة في هذه الأمور .

– ألم يرتب الضابط في أحد ؟. ألم يذكر أي اسم ؟. ألم يكن للفتاة صديق سابق انتزعته من قلبها عندما اتصلت بمايكل ؟

– كلا ..

وصمت وانستيد مرة أخرى ثم استأنف حديثه قائلاً :

- طلبت إلى مستر رافيل أن يحدثني عنك فكان كل ما قاله انك متقدمة في السن ، ولك خبرة بالناس ، ثم ذكر عنك شيئاً آخر .

– ما هو ؟. هل قال لك انني شديدة الفضول ؟. لعل هذه هي الصفة الطيبة الوحيدة التي أعرفها في نفسي .. وفيما عدا ذلك فأنا ضعيفة السمع والبصر وأبدو كأي عجوز ساذجة .. فهل قال لك شيئاً بهذا المعنى ؟.

– كلا .. ولكنه قال ان لك حاسة سادسة بالنسبة إلى الجريمة .

– أحقاً ؟.

– هل هذا صحيح ؟.

– ربما .. والواقع انني كثيراً ما أحسست بالشر ومكامنه في الدوائر القريبة مني .. انه حساس غريزي .. ومثلي في ذلك مثل أولئك الذين يولدون بحاسة شم قوية ، إنهم يشمون رائحة الغاز المتسرب بينما لا يشمه الآخرون ، ويستطيعون تمييز أنواع العطور بسهولة .. كانت لي عمة طالما سمعتها تقول إنها تشم رائحة الكذب .. إن الكذب لا رائحة له .. ولكنها الحساسية الغريزة .

في هذه القضية بعد وفاة مستر رافيل ، دعاني محاميه لمقابلته وأطلعني على العرض الذي اقترحه مستر رافيل .. ثم تسلمت رسالة من هذا الأخير لم توضح لي شيئاً .. وبعد فترة من الوقت ، جاءتني رسالة من الشركة التي تشرف على هذه الرحلات ، قالت فيها ان مستر رافيل حجز لي قبل موته مكاناً في هذه الرحلة كمفاجأة لي . فدهشت ، ولكني اعتبرت الرحلة خطوة اولى في الطريق إلى الهدف الذي ينشده وانني بعد الرحلة أو خلالها سأتلقى مزيداً

من التعليمات أو التوجيهات . وأمس الأول ، استقبلت على أثر وصولي ثلاث شقيقات دعونني لقضاء يومين معهن في بيتهن القديم ، وقلن انهن تلقين رسالة من مستر رافيل كتبها قبل موته .. وقال فيها أن صديقة قديمة له ستكون بين أعضاء الرحلة ، وانه سيكون شاكراً إذا هن استضفن هذه الصديقة يومين أو ثلاثة .. لأن صحتها لن تسمح لها بارتقاء التل .. وشهود النصب التذكاري مع زملائها في الرحلة التي تضمنها برنامج أمس .

– وهل اعتبرت ذلك أيضاً كتوجيه لك إلى مهمتك ؟.

– طبعاً .. لم يكن هناك تفسير آخر .. فمستر رافيل ليس الرجل الذي يكلف نفسه كل هذا العناء لمجرد إشفاقه على سيدة عجوز من متاعب صعود التل ، إنه كان يريدني أن أذهب إلى ذلك البيت .

– وهل ذهبت ؟. وماذا وجدت ؟.

– لا شيء .. سوى ثلاث شقيقات .

– ثلاث شقيقات غريبات الأطوار .

– كلا .. ثلاث شقيقات عاديات .. ولكنهن على جانب عظيم من اللطف ودماثة الخلق ، وان اختلفت كل منهن عن الأخرى ، وقد خيل الي انهن لا يعرفن مستر رافيل جيداً .. وكانت جميع محادثاتي معهن غير مثمرة .

– إذن لم يتكشف لك شيء خلال إقامتك ؟

– بل تكشفت لي الحقائق الأساسية في القضية التي حدثتني انت عنها الآن ذكرتها لي خادم عجوز ترجع صلتها بالبيت إلى عهد الكولونيل العجوز عم الشقيقات الثلاث .. لم تكن تعرف مستر رافيل ولكنها تحدثت عن الجريمة بطلاقة .. فقالت ان المأساة بدأت بزيارة ابن مستر رافيل لذلك البيت وان الفتاة أحبته وانه خنقها .

– ألم تذكر أن للشقيقات صلة بالمأساة ؟.

– كلا .. كل ما قالته ان الفتاة كانت ربيبتهن وانهن أحببنها

حب عبادة .

- لعلهن يعرفن شيئاً عن .. عن رجل آخر كان يحب الفتاة ؟.

- نعم .. هذا الرجل هو ضالتنا التي يجب أن نبحث عنها .. ولا بد أن يكون رجلاً فظاً لا يتورع عن تهشيم رأس فتاة بعد قتلها .. رجلاً من أولئك الذين تخرجهم الغيرة عن صوابهم .

- هل لفت نظرك شيء في ذلك البيت ؟.

- لا شيء يستحق الذكر .. كانت صغرى الشقيقات لا تكف عن الحديث عن الحديقة كما لو كانت من هواة فلاحة البساتين .. ولكني نصبت لها فخاً . واكتشفت إنها لا تعرف حتى أسماء الزهور .. وذلك يذكرني بشيء آخر .

- ما هو ؟.

- هل رأيت بين أعضاء الرحلة إمرأتين في الحلقة الثالثة من العمر ؟. إحداهما تدعى مس بارو والثانية مس كوك ؟.

- نعم .. أعتقد انهما عانستان تسافران معاً .

- لقد اكتشفت أمراً عجيباً عن مس كوك .. أو مَن تدعو نفسها بهذا الاسم .

- لماذا ؟. هل لها إسم آخر ؟.

- أظن ذلك .. إنها نفس المرأة التي مرت ببيتي في القرية حيث أقيم ، وعبرت عن اعجابها بحديقتي .. وتحدثت عن الحدائق .. وقالت انها تقيم مع سيدة تقطن في بيت جديد هناك ..

- أنا أعتقد ان كل ما قالته كان كذباً .. لأنها أيضاً لا تعرف شيئاً عن الحدائق .

- ماذا كان غرضها إذن من حديثها معك ؟.

- لم اكن اعلم في ذلك الوقت .. قالت لي يومئذ ان إسمها بارتليت .. وذكرت للسيدة التي تقيم معها اسماً لا يحضرني الآن .. ولكنه يبدأ بحرف

الماء فيما اظن .. وكان لشعرها لون آخر .. كما كانت ثيابها من طراز مختلف. وعندما قابلتها في هذه الرحلة لأول مرة لم أعرفها .. ولكني شعرت بأن وجهها مألوف .. وفجأة تذكرتها حين اكتشفت أن شعرها مصبوغ .. واعترفت لي بأنها ذهبت إلى القرية وزعمت انها ايضاً لم تعرفني في الرحلة .. وكل ذلك كان كذباً ..

– وما رأيك انت ؟

– من المؤكد ان هذه التي تدعو نفسها مس كوك قد ذهبت إلى القرية خصيصاً لتراني .. حتى تستطيع التعرف علي متى تقابلنا مرة اخرى .

وساد الصمت بينهما بضع لحظات إلى ان قال وانستيد :

– إن ما حدث لاليزابيت تمبل يثير قلقي .. هل تحدثت اليها خلال الرحلة

– نعم .. وأود ان اتحدث اليها مرة اخرى متى تحسنت حالها .. فقد تفضي الينا بالمزيد عن الفتاة التي قتلت .. انها حدثتني عن هذه الفتاة التي كانت طالبة في مدرستها ، فقالت إنها كانت على وشك الزواج بابن مستر رافيل ، ولكنها لم تتزوجه وماتت وعندما سألتها كيف ماتت ولماذا ماتت . اجابت بكلمة واحدة هي (الحب) . وظننتها تعني ان الفتاة انتحرت ، ولكن الحادث كان جريمة قتل . جريمة قتل بسبب الغيرة.. ذلك هو التفسير الوحيد كان هناك رجل آخر يحب الفتاة ، ومهمتنا هي البحث عن هذا الرجل وربما استطاعت اليزابيت تمبل ان تدلنا عليه .

– أليست هناك احتمالات اخرى ؟

– ان ما نحتاج اليه في الوقت الحاضر اكثر من اي شيء آخر هو المعلومات حتى ولو كانت معلومات غير واضحة ، وقد تكون إحدى الشقيقات الثلاث تعرف او تتذكر شيئاً قالته الفتاة او قاله مايكل

لقد كانت كلوتيلد تقوم مع الفتاة برحلات إلى الخارج فلعلها تذكر شيئاً حدث او كلمة قالتها الفتاة في إحدى هذه الرحلات عن رجل قابلته أو

اتصلت به .

أما الأخت الثانية – لافينيا – فانها تزوجت وعاشت مع زوجها في الهند، وكانت صلتها بالفتاة أضعف من صلة أختيها ، ولكن ذلك لا يمنع من أنها ربما تعرف بعض الحقائق .

وأما الأخت الصغرى ، فإن عقلها مشتت إلى حد ما ، ولكن ربما كانت لديها معلومات عن عشاق للفتاة ، أو ربما اتفق لها أن رأت الفتاة مع رجل مجهول . آه .. ها هي الأخت الصغرى .. انثيا برادبوري .. إنها تحمل حزمة كبيرة .. ولعلها في طريقها إلى مكتب البريد في ركن الشارع .

– يخيل الي انها قليلة الاهتمام بمظهرها.. انظري كيف يتطاير شعرها الجميل في الهواء !!

الفصل الثالث عشر

مربعات سوداء وحمراء

عادت مسز ساندبورن عندما كان أعضاء الرحلة يتناولون طعام الغذاء ، ولم تكن أنباؤها مطمئنة .. إذ قالت ان اليزابيث تمبل لا تزال في غيبوبة .. ولا يمكن نقلها قبل بضعة أيام .

ثم تناولت المسائل العملية ، فقالت انها أعدت جدولاً لمواعيد القطارات لأولئك الذين يرغبون في العودة إلى لندن كما وضعت برنامجاً معدلاً للرحلة التي تستأنف بعد يوم أو يومين ..

وانتحى وانستيد بمس ماربل ناحية وقال لها :

– إذا لم يكن في نيتك الاستراحة بعد ظهر اليوم فسأمر بك بعد ساعة لاصطحابك الى إحدى الكنائس الأثرية .

* * *

وفي الوقت المحدد جاء وانستيد في سيارة استأجرها، وجلست مس ماربل بجواره في المقعد الأمامي .

قال لها :

— لقد خطر لي انه ربما يهمك زيارة هذه الكنيسة بالذات ، وليس ثمة ما يمنعنا عن الاستمتاع بالمناظر الريفية ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً .

فقالت مس ماربل :

— هذا كرم منك .. ولكن يخيل الي ان كل متعة في هذه الظروف تبدو شيئاً قاسياً . ولا شك انك تفهم ما أعني .

— يا سيدتي العزيزة .. إن مس تمبل لم تكن صديقتك في يوم ما .. وهذه الحوادث المحزنة تقع كل يوم .

وعندما ابتعدت السيارة عن القرية ، التفت وانستيد الى مس ماربل وقال :

— إننا لن نذهب إلى أية كنيسة .

— هذا ما توقعته .. إلى أين سنذهب إذن ؟.

— إلى مستشفى في (كاريستاون) .

— المستشفى الذي نقلت اليه مس تمبل ؟.

— نعم . لقد حملت إلى مسز ساندبورن رسالة من إدارة المستشفى .. فاتصلت بالمستشفى تليفونياً منذ قليل .

— هل مس تمبل أحسن حالاً ؟.

— كلا .. ان شفاءها امر مشكوك فيه .. ولكن ليس هناك ما يمكن عمله انها في غيبوبة لا تفيق منها إلا لحظات .

— ولماذا تذهب بي اليها ؟. انني لست صديقتها . وقد قابلتها لأول مرة في هذه الرحلة .

— أعلم ذلك .. انني أذهب بك اليها ، لأنها ذكرت اسمك في احدى لحظات يقظتها ، وطلبت مقابلتك .

— ترى لماذا وهي تعلم انني لن أستطيع أن افيدها بشيء ؟.

ثم هزت رأسها اسفاً واستطردت قائلة :

– إنها سيدة عظيمة .. كانت ناظرة لمدرسة (فالوفيلد) وكانت لها مكانة بارزة في الدوائر التربوية وهي شخصياً واسعة الثقافة ، ولديهـــا دكتوراه في الرياضيات ، وكانت شديدة الاهتمام بالمسائل التربوية ولا تدخر وسعاً في تشجيع تلميذاتها فيما يتفوقن فيه من فروع العلم والمعرفـة ، وان لمن القسوة أن تذهب ضحية حادث سخيف كهذا .. ان هذا الحادث ..

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة :

– لعلك تفضل ألا نناقشه ؟.

– بل من الأفضل أن نناقشه .. لقد سقط حجر من فوق التل وذلك أمر مألوف حدث مراراً من قبل .. ولكن بعضهم تحدث اليّ في هذا الموضوع .

– في موضوع الحادث ؟ من الذي تحدث اليك ؟.

– الشابان جوانا كروفور واملين برايس .

– ماذا قالا لك ؟.

– قالت جوانا انها رأت فوق التل شخصاً يزحزح الحجر بكل قوتـــه ليدحرجه على سفح التل ، وإنها لا تستطيع أن تجزم هل كان هـذا الشخص رجلاً أم امرأة .. ولكنها واثقة من انها رأت الحجر يهتز ثم ينفصل من مكانه ويهوى على سفح التل .. في الوقت الذي كانت فيه مس تمبـــل تسير في الممر المألوف المؤدي إلى القمة .. فأصابها الحجر وواصل انحداره بكل قوة .

وتعتقد الفتاة انه لو لم يتعمد انسان اصابة مس تمبل بذلك الحجر لما نجح ..

– وهل كان ذلك الشخص رجلاً أم امرأة ؟.

– من سوء الحظ ان الفتاة لم تستطع أن تقطع في هذا الأمر برأي ..قالت انه كان يرتدي سروالاً أزرق وقميصاً من الصوف منقوشاً بمربعـــات حمراء وسوداء زاهية اللون ، ثم اختفى عقب ذلك مباشرة .

– وهل تعتقد الفتاة أو تعتقد أنت أن الحادث دبر عمداً لقتل مس تمبل ؟

– ان الفتاة تميل إلى هذا الاعتقاد ويؤيدها الشاب .

– أليست لديك فكرة عمن يكون الفاعل ؟.
– كلا .. إطلاقاً .. ربما يكون أحد أعضاء الرحلة أو شخصاً مجهولاً علم بموعد وصول الرحلة واختار هذا المكان للاعتداء على حياة أحد أعضائها .. وربما يكون أحد هواة العنف حباً للعنف في ذاته .. على ان السؤال الذي يجب أن نطرحه هو : من الذي يود قتل ناظرة مدرسة متقاعدة؟.

ربما تستطيع مس تمبل نفسها الإجابة على هذا السؤال إذ يحتمل انها رأت الفاعل وعرفته .. أو تعرف شخصاً معيناً يحقد عليها لسبب ما ..
إن ناظرة المدرسة تتصل بتلميذاتها وبعائلاتهن .. وتعرف عن الفتيات ومغامرتهن أكثر مما يعرف ذووهن .. وقد أصبحت المغامرات العاطفية شيئاً مألوفاً في حياة الطالبات في هذا الزمن ..

يقولون ان البنات ينضجن في سن مبكرة وهذا صحيح من وجهة النظر الفسيولوجية .. ولكن النضج بمعناه الصحيح لا يحدث إلا في وقت متأخر .
إن طفولة البنات تمتد وقتاً طويلاً .. فتظل البنت طفلة بالثياب التي ترتديها .. وبشعرها الذي يتطاير حولها ، وبالميني جيب الذي يرمز لعبادة الطفولة.. إنها لا تحب أن تكون مراهقة .. ولا ان تضطلع بمسؤوليات المراهقات . ولكنها تحب – كأي طفل – أن يظن الناس أنها قد شبت عن الطوق ، وان من حقها أن تمارس حريتها وأن تفعل ما يفعله الكبار .. ومن هنا تحدث المآسي .

– هل تشير إلى مأساة بعينها ؟.
– كلا .. إنما أفكر في كافة الاحتمالات ، ولكني لا أظن ان لمس تمبل عدواً من قسوة القلب بحيث يترقب مثل هذه الفرصة لقتلها .. ولعل أقرب الاحتمالات إلى الصواب هو ..
وصمت لحظة ثم قال :
– حاولي أن تعرفي ما يدور بخلدي ..

- أظن انني أعرف ما يدور بخلدك .. أنت تظن أن مس تمبل ربما تعلم أموراً خطيرة لا يريد القاتل أن تعرف أو تذاع ؟.
- ذلك ما خطر لي ..
- وهذا معناه ان بين أعضاء الرحلة شخصاً تعرف على مس تمبل ، ولم تتعرف هي عليه بسبب مضي السنين ، وان هذا الشخص أراد أن يتخلص منها لأنها تعرف من أمره ما لا يود أن يعرفه الآخرون .
وإذن يجب أن نبحث عن الفاعل بين أعضاء الرحلة .. هل قلت ان قميصه كان منقوشاً بمربعات سوداء وحمراء ؟.
- نعم ..
- إنهما لونان يلفتان النظر .. ولذلك تذكرتها جوانا اصغ الي .. إنك عندما تصف شخصاً رأيته من بعيد .. فإن أول شيء تصفه هو ثيابه .. لا وجهه أو مشيته .. وقد حرص الفاعل على ارتداء قميص ذي الوان صارخة تلفت نظر من يراها .. والغرض من ذلك أنه متى خلع القميص وتخلص منه بأن أرسله في طرد بريدي الى مكان يبعد مئات الأميال أو أحرقه .. فانه يكون بذلك قد تخلص من الدليل وأبعد عنه الشبهات .
- هذا رأي سليم . . .
- والفاعل غالباً رجل أو امرأة ، فقد القي الحجر - إذا كان قد القي عمداً - بدقة لا يستطيعها إلا رجل ..
وثمة ملاحظة أخرى هي ان مدرسة فالوفيلد حيث كانت مس تمبل ، تقع على بعد ستة عشر ميلاً من هنا .. وذلك يوسع دائرة الاحتمالات :
وبهذه المناسبة .. هل تعرف هذه المنطقة جيداً يا مستر وانستيد ؟.
- لست أعرف عنها اكثر مما سمعت وأنا أتقصى الحقائق في اليومين الأخيرين .. قيل لي أنها كانت في إحدى الفترات مسرحاً لسلسلة من الجرائم .. ولا عجب في ذلك .. فكل منطقة في انجلترا قد اجتاحتها في وقت ما موجة

من الجرائم .. كذلك قيل لي أن فتاتين اختفيا من هذه القرية في وقت واحد تقريباً . إحداهما هي التي وجدت جثتها بعد ستة شهور من اختفائها وأتهم مايكل رافيل بقتلها ..

– والثانية ؟.

– والثانية تدعى نورا برود .. وكانت لها صلات بكثير من الفتيان ولم يكن سلوكها فوق الشبهات . ولم يعثر على جثتها .. ولكن من المؤكد ان الجثة ستظهر يوماً ما . انني أعرف قضايا ظهرت فيها الجثة بعد عشرين عاماً . ها قد وصلنا ، هوذا مستشفى (كاريستاون) .

وتبعت مس ماربل الأستاذ وانستيد إلى داخل المستشفى ، ويبدو أن قدوم وانستيد كان متوقعاً ، فقد ذهبوا به على الفور الى غرفة صغيرة يتصدرها مكتب تجلس اليه امرأة في نحو الأربعين من عمرها يبدو إنها رئيسة الممرضات.

ونهضت المرأة لاستقبال الزائرين وهي تقول :

– الاستاذ وانستيد !! والسيدة ..

فقال وانستيد :

– هذه مس جين ماربل التي تحدثت عنها تليفونياً إلى مس باركر الممرضة.

– آه .. ان مس باركر تنتظر قدومكما .

– وكيف حال مس تمبل ؟.

– يؤسفني أن أقول انه لم يطرأ عليها أي تحسن ، سأذهب بكما الآن إلى مس باركر .

* * *

كانت مس باركر امرأة طويلة نحيفة الجسم ذات صوت خافت حاسم .. وعينين سوداوين تنظران اليك بسرعة ثم تنصرفان عنك بطريقة تشعر بأن صاحبتها قد ألمت بك تماماً وقومتك في هذه اللحظة القصيرة وأصدرت

حكمها عليك .

قال لها وانستيد :

ـ انني لا أعرف الترتيبات التي استقر عليها رأيك .

فأجابت :

- يحسن بي أن أوضحها لمس ماربل .. ان مس تمبل لا تزال في غيبوبة تامة تتخللها لحظات قصيرة من اليقظة والوعي .. وفي هذه اللحظات تفيق إلى نفسها وتتعرف على ما حولها ، وتنطق ببضع كلمات . ولكن لا توجد هناك أية وسيلة لإيقاظها .. وكل ما نستطيعه هو ان نتذرع بالصبر وننتظر .

وأنا أتوقع أن يكون الأستاذ وانستيد قد أنبأك بأنها رددت اسمك في إحدى لحظات يقظتها وقالت : « مس جين ماربل .. أريد ان اتحدث اليها».

ثم راحت في غيبوبة .

وقد نصح الطبيب بالاتصال بالقائمين على الرحلة وجاء الأستاذ وانستيد فأوضحنا له الموقف ، ووعد باحضارك .

ان كل ما نرجو منك الان هو أن تجلسي في الغرفة الخاصة التي ترقد فيها مس تمبل ، وأن تسجلي كل كلمة تنطق بها متى عادت إلى وعيها .

وحيث انك لست من اقاربها ولن يزعجك النبأ ، فانني أقول الك في صراحة ومع الأسف أن الطبيب يعتقد أن حالة مس تمبل تتدهور لحظة بعد أخرى . وانها قد تموت قبل ان تسترد وعيها . وليس في مقدورنا عمل شيء لأرالة الأرتجاج ، ومن المهم أن يسمع أحد ما سوف تقول . ويرى الطبيب ان من الا ترى المريضة اشخاصاً كثيرين حولها اذا استيقظت ، حتى لا تشتت افكارها ولذلك لن يكون بالغرفة سوى ممرضة سوف تتوارى خلف حاجز بحيث لا تراها المريضة . ورجل شرطة مهمته أن يسجل ما يسمع ، وسوف يتوارى كذلك عن عيني المريضة .

وبذلك لن ترى المريضة عندماتفتح عينيها سوى الشخص الذي تنتظره

.. فهل يضايقك كثيراً أن تقومي بهذه المهمة . ؟

فأجابت مس ماربل :

- كلا .. بتاتاً . ثم ان لي ذاكرة قوية تستوعب ما اسمع ، حتى ولو كان مجرد همس ولن أكون بحاجة إلى ورق وقلم .

فومضت في عيني مس باركر نظرة تنم عن الأرتياح وقالت :

– انا واثقة من اننا نستطيع الأعتماد عليك أما الأستـــاذ وانستيد فأنه سينتظر بقاعة الاستقبال لكي نستعين به اذا قضت الضرورة .

والان تعالي معي يا مس ماربل .

وسارت معها مس مـــاربل في دهليز طويل ينتهي بغرفة صغيرة . وعلى فراش في هذه الغرفة الخافتة الضوء كانت ترقد اليزابيث تمبل .

كانت اشبه بتمثال . ولكن الناظر اليها لا يشعر بأنها نائمة .

كانت انفاسها القلقة تتردد في شهقات خافتة .فانحنت مس باركر فوقهـــا لتفحصها .. ثم اشارت إلى مقعد بجوار الفراش ، فجلست عليه مس ماربل .

وعندما همت مس باركر بالانصراف ، خرج من وراء حاجز هناك شاب في يده قلم ودفتر مذكرات فقالت له مس باركر في همس :

– هذه أوامر الطبيب .

ثم التفتت الى الممرضة التي كانت تجلس خلف الحاجز وقالت :

– اطلبيني اذا لزم الأمر وضعي نفسك تحت تصرف مس ماربل .

وكان جو الغرفة دافئاً فخلعت مس ماربل معطفها ودفعت به إلى الممرضة وجلست تنظر الى اليزابيث تمبل ولا تتمالك من الاعجاب بقسمات وجههـــا وارتفاع جبينها وجمال شعرها .

كانت امرأة وسيمة ، وشخصية ممتازة ، ومن بواعث الأسف حقاً أن تغيب عن هذه الدنيا .

***

ومر الوقت ..

عشر دقائق . عشرين دقيقة .. نصف ساعة .. خمس وثلاثون دقيقة ..

ثم فجأة .. وعلى غير انتظار .. انبعث صوت خـــافت ولكنه واضح . صوت خلو من الرنين الذي ألفته مس ماربل.

قال الصوت :

- مس ماربل .

وفتحت اليزابيث تمبل عينيها .. ونظرت في غير انفعال او دهشة إلى وجه المرأة التي تجلس امامها ثم قالت :

- هل أنت جين ماربل .. ؟

- نعم . أنا جين ماربل .

- ان هنري حدثني عنك كثيراً .

- هنري . ؟

- هنري كليثرنج . انه من أقدم أصدقائي وأكرمهم علي .

- هنري كلثرنج ... انه ايضاً صديقي ..

وعادت بها الذاكرة إلى سنوات مضت . حين عرفت السير هنري كلثرنج - وتذكرت خدماته لها ، وخدماتها له . كان حقاً من أخلص الأصدقاء .

قالت اليزابيث تمبل :

- لقد تذكرت اسمك حين قرأت أسماء أعضاء الرحلة .. ان في استطاعتك أن تفعلي شيئاً ... لو كان هنري هنا لقال ذلك .. نعم . ان بوسعك أن تبحثي وأن تفعلي شيئاً . ذلك مهم . ومهم جداً . . رغم مرور سنوات عديدة ..

وخفت صوتها قليلاً واغمضت عينيهـــا ، فخرجت الممرضة من مخبئهـــا ، وقربت كوباً من شفتي مس تمبل ، فارتشفت هذه جرعه .. ثم أشاحت بوجهها فرفعت الممرضة الكوب وعادت إلى مقعدها .

قالت مس ماربل :

ـ سأبذل قصارى جهدي واعمل ما استطيع عمله .

ـ حسناً .. حسناً ..

وأغمضت عينيها مرة أخرى ، وبدت كأنها نائمة . أو في غيبوبة ..

ولكنها عادت ففتحت عينيها فجأة وقالت :

ـ من هي .. ؟ ذلك ما يجب معرفته .. هل فهمت ماذا أعني .. ؟

ـ أظن ذلك .. انك تعنين فتاة تدعى نورا برود .. ؟

فقطبت اليزابيث تمبل جبينها وقالت :

ـ كلا .. كلا .. كلا .. الفتاة الأخرى . فيريتي هانت .

وصمتت لحظة ثم قالت :

ـ جين ماربل .. انك تقدمت في السن عما كنت عندما حدثني هنري عنك . ولكن ما في مقدورك أن تبحثي .. أليس كذلك .. ؟

وارتفع صوتها وزاد الحاحاً وهي تقول :

ـ تكلمي .. قولي ان ذلك في مقدورك .. ان الوقت ضيق .. وأنا أشعر بذلك .. أبحثي .. ربما تتعرضين للخطر ولكنك ستنجحين ..

ـ سأبحث .. وليشد الله أزري .

كان ذلك عهداً وقسماً ..

فتنهدت اليزابيث تمبل بارتياح ، وأغمضت عينيها ثم فتحتها ، وارتسم على شفتيها شبه ابتسامة .

همست بعد قليل :

ـ تلك الصخرة التي انحدرت من عل ... صخرة الموت .

ـ من الذي القاها ؟.

ـ لا أعلم .. ذلك لا أهمية له .. المهم هو فيريتي .. ابحثي عن الحقيقة .. ولاحظت مس ماربل استرخاء جسدها على الفراش ، وسمعتها تهمس

بصوت خافت :

– وداعاً .. ابذلي قصاري جهدك .

واغمضت مس تمبل عينيهـا . فهرعت اليها الممرضة وجست نبضهـا .. ثم ابتعدت وأشارت إلى مس ماربل أن تتبعها إلى الخارج فأطاعت .

وهناك قالت الممرضة .

– انها بذلت مجهوداً كبيراً .. ولن تعود الى وعيهـا قبل وقت طويل .. وقد لا تعود إطلاقاً .. أرجو أن تكوني قد عرفت منها شيئاً ..

– لا اعتقد ذلك ..

* * *

وسألها وانستيد وهما في طريقهما إلى السيارة .

– هل قالت لك شيئاً .. ؟

– انها ذكرت اسماً .. (فيريتي) .. هل هو اسم الفتاة .. ؟

– نعم .. فيريتي هانت .

وماتت اليزابيث تمبل بعد ساعة ونصف الساعة دون ان تفيق من غيبوبتها.

الفصل الرابع عشر

فيريتي

قالت مس مابل فجأة ، وبصوت واضح ، وهي تعمل بابرتها :

– فيريتي !!

كانت اليزابيث تمبل قد ماتت في هدوء في الليلة السابقة ، وتحددت الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي لتحقيق حادث مصرعها ، ووافق أعضاء الرحلة على حضور جلسة التحقيق ، وقرر بعضهم البقاء للاشتراك في القداس الذي سيقام في الكنيسة .

وذهبت لافينيا الى الفندق والحت على مس ماربل لكي تعود للاقامة في البيت القديم إلى ان يحين موعد الرحيل .

قالت لها :

– ان اقامتك معنا ستجنبك مضايقات رجال الصحافة ..

ووافقت مس ماربل : خاصة وأن أكثر زملائها عدلوا عن مواصلة الرحلة وقرروا العودة الى لندن .

وفيما كانت تعمل بابرتها في قاعة الاستقبال بعد ان تناولت القهوة مع الشقيقات الثلاث . تذكرت آخر شيء نطقت به اليزابيث تمبل قبل موتها والقت به فجأة في وسط السكون كما تلقى بحجر في بحيرة هادئة . ونظرت

حولها بسرعة لترى رد الفعل .

كانت لافينيا تقرأ كتاباً فتركته على الفور ونظرت الى مس ماربل في دهشة .

ورفعت كلوتيلد رأسها بغتة . وانحنت الى الامام ونظرت . لا الى مس ماربل وانما الى النافذة ..

ورغم ان مس ماربل أسدلت اهدابها حتى تبدو وكأنها لا ترى ما حولها .. إلا أنها لاحظت أن الدموع ملأت عيني كلوتيلد وسالت على خدها .. وأن كلوتيلد لم تحرك ساكناً لمسحها ، ولم تنطق بكلمة .

أما انثيا فأن رد الفعل بالنسبة اليها كان سريعاً وواضحاً وينم عن السرور والارتياح .

هتفت قائلة :

– فيريتي ؟. هل قلت فيريتي ؟. هل كنت تعرفينها ؟. هل تعنين فيريتي هانت ؟.

فقالت مس ماربل :

– انني لم اعرف قط احداً بهذا الاسم ..

وتركت إبرتها وأجالت البصر حولها وارتسمت في عينيهـا نظرة اعتذار كمن يدرك انه ارتكب غلطة جسيمة لا يعرف كنهها ..

قالت :

– انني آسفة .. هل قلت شيئاً لم يكن يجب أن أقوله ؟.

فقالت لافينيا :

– كلا .. كلا .. انما اتفق اننا نعرف هذا الاسم .

فقالت مس ماربل معتذرة :

– انه مر بخاطري .. وكنت قد سمعته امس من مس تمبل .. كانت في غيبوبة فذهب بي الاستاذ وانستيد اليها في المستشفى ظناً منه اني أستطيع أن أرفع من روحها المعنوية .. ليس لانني كنت صديقتها في أي وقت .. وإنمـا

لاننا كنا نجلس معاً ونتجاذب اطراف الحديث خلال الرحلة .. ولكني للاسف لم أستطع أن افيدها بشيء . فقد جلست بجوار فراشها وانتظرت . وسمعتها تنطق بكلمة أو كلمتين لا معنى لهما . وأخيراً فتحت عينيها ونظرت إلي طويلاً .. ولعلها ظنتني شخصاً آخر ثم نطقت باسم (فيريتي) . وقد رسبت هذه الكلمة في ذهني خاصة وانها أسلمت الروح بعد ذلك .. فهل لكلمة (فيريتي) معنى آخر غير (الحقيقة) ؟.

قالت ذلك وراحت تنقل بصرها بين لافينيا وكلوتيلد وانثيا فقالت لافينيا :

— انه اسم فتاة كنا نعرفها .. ولذلك يهتما .

وقالت انثيا :

— سيما وانها ماتت موتة مخيفة .

فقالت كلوتيلد :

— انثيا .. لا ضرورة لهذه التفصيلات .

فقالت انثيا وهي تنظر الى مس ماربل :

— انها تفصيلات يعرفها الجميع .. وكنت أظنك تعرفينها بحكم صلتك بمستر رافيل .. انه كتب الينا عنك ففهمت انك لا بد تعرفينه .. وانه ربما روى لك القصة كلها .

فقالت مس ماربل :

— انا آسفة .. إذ لم افهم شيئاً مما تقولين .

فقالت انثيا :

— لقد وجدت جثتها في حفرة ..

كان من الواضح ان انثيا متى انطلقت ، فلا أحد يستطيع اسكاتها .

ولاحظت مس ماربل ان كلام انثيا يشد أعصاب كلوتيلد التي ما لبثت أن أخرجت منديلها وجففت دموعها ثم اعتدلت في جلستها وقالت وفي عينيها

حزن عميق :

- ان فيريتي هو اسم فتاة كانت تقيم معنا وكنت احبها من كل قلبي .

فقالت لافينيا .

- وهي أيضاً كانت تحبك .

قالت كلوتيلد :

- كان ابواها صديقي ، لقد قتلا في حادث طائرة .

فقالت لافينيا .

-- وكانت تتلقى العلم في مدرسة (فالوفيلد) ولعل ذلك هو السبب في أن مس تمبل تذكرتها .

فهتفت مس ماربل :

-- آه .. فهمت . كانت مس تمبل ناظرة تلك المدرسة .. أليس كذلك ؟.

فقالت كلوتيلد :

- نعم .. وكانت فيريتي من تلميذاتها . فلما مات ابواهـــا جاءت الى هنا للاقامة معنا ريثما تتخذ قراراً بشأن مستقبلها .. كانت وقتئذ في الثامنة عشرة من عمرها .. فتاة حلوة . دمثة الخلق . ممتلئة عطفاً وحناناً . وقد فكرت في أن تشتغل بالتمريض ، ولكنها كانت على جانب عظيم من الذكاء فأصرت مس تمبل على ضرورة دخولها الجامعة .. وكانت تستعد لذلك حين وقع الحادث الرهيب ..

قالت ذلك واشاحت بوجهها وأردفت :

-- حبذا لو تركنا الحديث في هذا الموضوع الآن .

فهتفت مس ماربل :

-- طبعاً . طبعاً .. كم أنا آسفة على انني أثرت هذه الذكريات المؤلمة .. الواقع انني لم أكن أعلم . أعني أنه لم يبلغني .

وأرتج عليها القول فلاذت بالصمت .

ولكنها علمت المزيد في المساء ، فقد جاءتها لافينيا وهي تستبدل ثيـابها استعداداً للذهاب إلى الفندق وقالت لها :

– لقد خطر لي أن أوضح لك موضوع فيريتي هـــانت . وطبيعي انك تجهلين مبلغ حب كلوتيلد للفتاة ، وهول الصدمة التي أصابتها عقب مصرعها ، اننا نتجنب الحديث عن الفتاة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، وستدركين السبب متى أوضحت لك الحقائق .

يبدو أن الفتاة اتصلت دون علمنا بشاب غير مرغوب فيه ظهر فيما بعـد أنه شخص خطر له سجل حافل .. وكان هذا الشاب قد جاء لزيارتنا ، لأننا نعرف أباه جيداً .

وصمتت لافينيا قليلاً ثم قالت :

– أظن انه يحسن بي أن أذكر لك الحقيقة كلها ، كان هـذا الشاب في الواقع هو ابن مستر رافيل . واسمه مايكل ..

– أحقاً ؟. لقد سمعت فعلاً ان لمستر رافيل ابناً سيء السلوك .

– بل هو أكثر من ذلك .. انه لص ومزور وذئب أعراض ، وقد حوكم أكثر من مرة بتهمة الاعتداء على الفتيات .

كانت أمه صديقتنا ولعل من حظها انها ماتت في مقتبل العمر فلم ترَ الهوة التي تردى فيها ابنها .. وقد فعل مستر رافيل ما يستطيع من أجل ابنـــه ، فأوجد له أعمالاً تناسبه . ودفع الغرامات التي حكم عليه بها ، واستخدم أبرع المحامين للدفاع عنه في المحاكم ..

وذات يوم ، خرجت فيريتي لزيارة إحدى صديقاتها ولم تعد .

أبلغنا البوليس ، فبحثوا عنها في كل مكان ولكنهم لم يقعوا لها على أثر ..

أعلنا في الصحف عن فقدها.. وأذاع البوليس نشرة بأوصافها ..

وكان رجال البوليس قد بدأوا يراقبون مايكل ..لاشتباههم في أن له يداً في سلسلة الجرائم التي حدثت في المنطقة في تلك الفترة ، ولكنهم لم يتوصلوا

إلى دليل حاسم يدينه .

وراجت في هذه الأثناء اشاعة بأن فيرني شوهدت مع شاب يشبه مايكل وفي سيارة كسيارته .. ولكن لم يقم دليل على صدق هذه الإشاعة .. إلى أن وجدت جثة الفتاة بعد ستة شهور من اختفائها في بقعة مهجورة على بعد ثلاثين ميلاً .

وذهبت كلوتيلد للتعرف عليها ، وعرفتها رغم التشويه الذي أصاب وجهها عرفتها من علامة في جسدها ، ومن ثيابها ومن محتويات حقيبتها .. وكانت صدمة قاسية لها لم تبرأ منها أبداً ..

وكانت مس تمبل أيضاً مشغوفة بالفتاة .. ولا بد أنها تذكرتها حين رددت اسمها وهي تلفظ أنفاسها .

الفصل الخامس عشر

التحقيق

سارت مس ماربل ببطء في طريقها الى المحكمة لمتابعة جلسة التحقيق في حادث مصرع اليزابث تمبل .

نظرت في ساعتها ووجدت أنها تستطيع أن تقضي نحو عشرين دقيقة في شهود معروضات المتاجر بالشارع الرئيسي قبل أن يحين موعد انعقاد المحكمة ، فدخلت متجراً للخيوط والملابس الصوفية ، وطلبت من صاحبته وهي سيدة عجوز لفافة من الخيوط ذات اللون الوردي ، تضارع تلك التي كانت تحيكها ، فعرضت عليها السيدة بضعة نماذج وجدت بينها مس ماربل بغيتها ..

ولاحظت صاحبة المتجر ان العميلة غريبة عن المنطقة ، وأنها لا بد وأن تكون من أعضاء الرحلة ، وكان من الطبيعي أثناء العرض والبحث والمقارنة بين الوان الصوف أن يدور الحديث حول الموضوع الذي يجري على السنة الناس في القرية ، وهو موضوع الحادث المؤلم الذي وقع عند سفح التل ، وفهمت مس ماربل مما ذكرته صاحبة المتجر انه ليس الحادث الأول من نوعه ، وان ثلاثة أو أربعة أشخاص ذهبوا من قبل ضحية انهيار الصخور من فوق التل ، وان الناس في القرية يعزون هذه الحوادث الى الأمطار والسيول التي تخلى ما بين الصخور من رمال فتزعزعها وتضعف تماسك بعضها ببعض فتنهار .

وفي نهاية الحديث، دفعت مس ماربل ثمن الخيوط التي ابتاعتها وتظاهرت بالانصراف ولكنها ما أن بلغت الباب حتى عادت أدراجها كمن تذكر أمراً وقالت :

- هل أجد عندك قميصاً من الصوف لابن أخي ؟ أعني قميصاً ذا ياقة مرتفعة والوان صارخة من النوع الذي يرتديه الشبان في هذه الأيام ؟. وحبذا لو كانت نقوشه على شكل مربعات حمراء وسوداء

فعرضت عليها صاحبة المتجر مجموعة من القمصان المتعددة الألوان وقالت انه لا يوجد لديها ولم يرد اليها قط أقمصة ذات مربعات حمراء وسوداء .

وراحت مس ماربل تفحص الأقمصة ثم قالت كأنما عرضاً :

- بمناسبة حادث التل .. يخيل الي ان هذه المنطقة منكوبة بالحوادث المفجعة ، فقد قرأت مرة عن سلسلة من جرائم القتل ذهب ضحيتها عدد من الفتيات ..

فهتفت صاحبة المتجر

- آه .. هذا صحيح .. كان ذلك منذ بضعة أعوام وقد قبضوا على المجرم وهو شاب وسيم ظريف كان يبدو فوق الشبهات ، ثم ثبت ان له سجلاً حافلاً رغم انه ينتمي إلى أسرة كريمة ، وان أباه رجل واسع الثراء .

وقد حامت الشبهات في البداية حول عدد من الشبان ، ثم أطلق سراحهم وأخيراً عثروا على جثة فتاة ظنوا انها نورا برود ، التي اشتهرت بمغامراتها مع الشبان .

- ألم تكن جثتها ؟

- كلا .. جثة فتاة أخرى اختفت في نفس الفترة .

- ألم يعثروا على جثة نورا برود ؟.

- كلا .. ربما يعثرون عليها يوماً ما ، ولكن الرأي السائد أنها ألقيت في النهر .

– والفتاة الأخرى ؟. أعني الفتاة التي وجدت جثتها ؟.
– الفتاة الأخرى ؟. آه نعم . ان اسمها لا يحضرني الآن . لكنها كانت تقيم في البيت القديم منذ مصرع أبويها في حادث طائرة ..

– هل كان لها أقارب في ذلك البيت ؟.
– لا أعلم .. ولكن يبدو ان مس كلوتيلد كانت صديقة لأمها . وكانت كلوتيلدمدلهة بحب الفتاة ، وقد تحطم قلبها عندما اختفت بخلاف مس أنثيا.
– مس أنثيا هي الأخت الصغرى فيما أعتقد ؟
– نعم .. وهي فتاة غريبة الأطوار .. تتحدث إلى نفسها وتحرك رأسها بطريقة غريبة .. والأطفال يخافونها ويفرون من طريقها ..

– ومس كلوتيلد أهي غريبة الأطوار أيضاً ؟.
– كلا .. إنها ذكية وبارعة . وتعرفاللاتينية واليونانية .. وكانت تحب تلك الفتاة وتعاملها كابنتها ، الى أن جاء ذلك الشيطان المدعو ماذا كان اسمه ؟ آه .. كان اسمه مايكل فيما اعتقد .. ولكني لا أظن ان مس كلوتيلد كانت تعلم ان الفتاة حامل .
– وهل كنت أنت تعلمين ؟
– ان للحمل علامات لا تخطئها العين .

وودعتها مس ماربل وانصرفت .. وعرجت على مكتب البريد حيث ابتاعت بعض الطوابع .

وكان المكتب خلواً من العملاء ، فقالت لموظفة البريد :
– هل يضايقك أن أسألك معروفا؟ يبدو انني أصبحت في الفترة الأخيرة كثيرة الخطأ والنسيان . بسبب السن طبعاً .. لقد أرسلت طرداً يحتوي على بعض الملابس الصوفية إلى احدى المؤسسات الخيرية .. ولكني اكتشفت صباح اليوم انني اخطأت العنوان .. فهل لديك قائمة بعناوين الطرود التي ترسل من المكتب ؟. ان العنوان الذي اردت ارسال الطرد اليه هو (الجمعية الخيرية

لعمال احواض السفن) .

فنظرت موظفة البريد إلى محدثتها طويلاً ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة عطف واشفاق .

قالت :

— هل احضرت ذلك الطرد بنفسك ؟

— كلا . انني اقيم في البيت القديم . وقد تفضلت احدى الشقيقات واظنها مس كلوتيلد — باحضاره .

— كان ذلك يوم الثلاثاء فيما اعتقد ، ان التي احضرت الطرد هي مس أنثيا .. الأخت الصغرى .

— نعم . نعم .. اظن ذلك .

فقالت الموظفة وهي تبحث في دفتر امامها :

— كان طرداً متوسط الحجم فيما اذكر .. اما العنوان الذي ارسل اليه فهو (جمعية ايستهام لمساعدة النساء والأطفال) .

— ما اشد غبائي .. لقد خلطت بين الجمعيتين .. هل استطيع ان اصحح العنوان ؟.

— ذلك مستحيل .. فقد ارسل الطرد فعلاً ..

— لا بأس .. سأكتب الى الجمعية لتحويله الى العنوان المقصود .. شكراً جزيلاً لك ..

وغادرت مس ماربل مكتب البريد لتجد نفسها وجهاً لوجه امام املين برايس وجوانا كروفورد ، ولاحظت ان الفتاة شديدة الامتقاع .

قالت جوانا :

— انني خائفة .. فقد طالبت الإدلاء بأقوالي ، ولا اعرف الأسئلة التي سيلقونها علي .. انني ذكرت لرجل الشرطة كل ما اعرفه .

فقال املين برايس :

ـ لا تنزعجي يا جوانا .. انه التحقيق الابتدائي .. ويتولاه عادة احد الأطباء .. سيلقي عليك بعض الأسئلة وستروين له ما رأيت .

ـ ولكنك أيضاً رأيت ما رأيته .

ـ نعم . انني رأيت شخصاً فوق التل .

ـ لقد ذهبوا إلى الفندق وفتشوا أمتعتنا ..

فقالت مس ماربل :

ـ لا بد انهم كانوا يبحثون عن قميص ذي مربعات سوداء وحمراء .. فلا تنزعجي .. إذ لو كان لديك مثل هذا القميص لما تحدثت عنه .

فقالت املين برايس :

ـ أنا شخصياً لا أستطيع تمييز الألوان جيداً .

فقالت جوانا :

ـ إنهم لم يجدوا بين أمتعة الركاب قميصاً بهـذه الصفة وهل رأيت أنت أحدهم يرتدي مثل هذا القميص ؟.

ـ لا أظن . ثم انني ما كنت لأتبينه لو انني رأيته .. فـأنا لا أستطيع التمييز بين الأخضر والأحمر ..

فقالت جوانا :

ـ آه .. لقد نسيت انك مصابة بعمى الألوان

كان الدكتور ستوكس ـ الذي تولى التحقيق ـ رجلاً في الحلقة الرابعة من عمره قد وخط الشيب شعره .

استمع أولاً إلى تقرير رجال الشرطة .. ثم إلى التقرير الطبي عن الإصـابة وارتجاج المخ . اللذين نجمت عنهما الوفاة .

وأدلت مسز ساندبورن بشهادتها عن الرحلة والحادث فقالت ان اليزابيث تمبل كانت موفورة النشاط رغم بلوغها سن الستين.. وانها كانت تتقدم زملاءها بمسافة طويلة في الممر المؤدي إلى القمة عندما وقع الحادث .

هل تعتقدين أنه حادث عرضي وقع بالقضاء والقدر ؟
– نعم .. انه لا يمكن أن يكون غير ذلك .
ثم جاء دور جوانا كروفورد فذكرت اسمها وسنها ، وسألها الدكتور ستوكس :
– هل كنت تسيرين مع أعضاء الرحلة ؟
– كلا .. كنت أسلك طريقاً جانبياً غير الممر المألوف .
– هل كان معك أحد ؟.
– نعم .. مستر املين برايس .
– هل سرتما بعيداً عن الآخرين ؟
– نعم .. أغلب الوقت .
– وهل رأيت مس تمبل ؟.
– نعم .. كانت تسبق الآخرين ورأيتها تنحرف في إحدى الزوايا .. وتختفي عن بصري تماماً ..
– وهل رأيت أحداً فوق قمة التل ؟.
– نعم . رأيت شخصاً منحنياً خلف صخرة ضخمة عند الحافة وهو يحاول زحزحتها من مكانها .
– هل كان الشخص رجلاً أم إمرأة ؟.
– لا أستطيع أن أجزم .. ربما كان رجلاً .. وربما كان امرأة . ولكن من المؤكد انه كان يرتدي قميصاً من الصوف ذا ياقة مرتفعة .
– وماذا كان لون القميص ؟.
– كان منقوشاً بمربعات سوداء وحمراء زاهية اللون ، وكان الشخص يضع على رأسه (بيريه) يتدلى من تحته شعر طويل قد يكون شعر رجل أو امرأة.
فقال الدكتور ستوكس :
– من المؤكد ان التعرف على الرجل او المرأة من شعر الرأس أمر متعذر

في هذه الأيام .. وماذا حدث بعد ذلك ؟

- هبط الحجر من فوق القمة وتدحرج اولاً ببطء ثم زادت سرعته وسمعنا صوت انقضاضه وخيل الي انني سمعت في ذات الوقت صرخة .. ولكني لست واثقة من ذلك .

- ثم ؟.

- أسرعنا نحو أحد الأركان ورأينا الحجر في الممر وتحته شخص ..

- هل صدرت تلك الصرخة من مس تمبل ؟.

- أظن ذلك .. كان الموقف رهيباً .

- وماذا حدث للشخص الذي رأيته في قمة التل ؟. أعني الرجل أو المرأة ذات القميص الأحمر والأسود ؟ هل بقي ذلك الشخص في مكانه ؟.

- لا اعلم . فقد كنت انظر الى مكان الحادث وأهرول نحوه لأرىَ إذا كان بوسعي ان افعل شيئاً

- هل يمكن ان يكون ذلك الشخص احد اعضاء الرحلة ؟.

- كلا . انني واثقة من ذلك إذ لم أر بين اعضاء الرحلة من يرتدي مثل ذلك القميص .

- شكراً لك يا مس كروفورد .

ودعي أملين برايس للشهادة فلم تختلف اقواله عن اقوال جوانا ..

واخيراً قرر الدكتور ستوكس انه لا توجد ادلة كافية توضح ما إذا كان الحادث متعمداً او قضاء وقدراً ، وأرجأ القضية اسبوعين .

الفصل السادس عشر

زيارة

غادر الجميع قاعة الجلسة في صمت ، وسار اعضاء الرحلة في طريقهم الى الفندق وكانوا يسرعون الخطى ، فتخلفت مس ماربل وتخلف معهـــا الاستاذ وانستيد .

سألته أخيراً :

– ماذا سيحدث الآن ؟

– للقضية ؟.

– نعم ..

– سوف يتولاها رجال الشرطة للقيام بمزيد من التحريات على ضوء الشهادة التي ادلى بها الشابان . فليس في وسع الدكتور ستوكس بعد هذه الشهادة ان يصدر قراراً بأن الحادث وقع بالقضاء والقدر .

ووصلا إلى الفندق في منتصف الساعة الواحدة ، واقترحت مسزساندبورن تناول بعض العصير قبل الغذاء ، ثم قالت :

– لقد فهمت من الدكتور ستوكس ومن مفتش البوليس ان بوسعنا ان نستأنف الرحلة .. ستدفن مس تمبل في الساعة الحادية عشرة قبل ظهر غد وقد اتفقت مع قس القريةبشأن الجنازة..والرأي عندي ان نستأنف الرحلة بعد غد

سيطر على البرنامج بعض التعديل بطبيعة الحال، وقد علمت من بعض الأعضاء انهم يفضلون العودة الى لندن ، وانا افهم شعورهم ولن احاول التأثير عليهم .. إن ما حدث يدعو إلى الأسف ، وما زلت اعتقد انه حدث قضاء وقدراً .. وقد سبقته احداث مماثلة في نفس المكان .. ومهما يكن من امر فان السلطات المحلية المختصة سوف تواصل التحقيق ، ولذلك اقترح ان نكف عن مناقشة الحادث والتعقيب عليه ، وارجو ان يساعد استئناف الرحلة على صرفكم عن التفكير فيه .

* * *

وبعد الغداء ، انتقل وانستيد ومس ماربل إلى شرفة الفندق وقال الأول:

– هل ستواصلين الرحلة يا مس ماربل ؟.

فأجابت :

– كلا .. واظن ان ما حدث سيحملني على البقاء هنا بعض الوقت ، وثمة بعض تحريات اود ان اقوم بها .. وانت ؟.

– يجب ان اعود الى لندن ، فلدي اعمال هناك اللهم إلا اذا رأيت انني استطيع ان افيدك هنا بشيء

– كلا .. في استطاعتك ان ترحل إذا شئت .

– انني لم اشترك في هذه الرحلة الا لأقابلك يا مس ماربل .

– وها نحن قد تقابلنا وافضيت اليك بما اعلم .

– هل تشعرين بأن في الجو ما يريب .. وان بقاءك هنا ضروري ؟

– نعم ... خاصة بعد مصرع مس تمبل الذي اعتقد انه لم يكن مجرد حادث عرضي .. رغم كل ما قالته مسز ساندبورن . وثمة امر اظن انني لم اذكره لك من قبل .. لقد قالت لي مس تمبل مرة ان رحلتها هذه كانت رحلة حج ..

- ألم تقل لك الى اين .. ؟ أو لمن .. ؟
– كلا ... ولو قد امتد عمرها قليلاً واستطاعت الكلام لصارحتني .. ولكن من سوء الحظ ان الموت دهمها بسرعة
– وما رأيك أنت .. ؟
– رأيي ان شخصاً شريراً تعمد أن ينهي رحلتها قبل أن تصل إلى المكان الذي تقصد اليه . أو إلى الشخص الذي تريد مقابلته .
– ألهذا قررت البقاء . ؟
– بل يوجد سبب آخر . فانني أريد أن اعرف المزيد عن فتاة تدعى نورا برود .
فنظر اليها في دهشة وردد :
– نورا برود .. ؟
– انها فتاة اختفت في نفس الوقت مع فيريني هانت . واذكر أنك حدثتني عنها .. كانت فتاة منحرفة سيئة السيرة .. كان لها اكثر من صديق .

***

شهد الجنازة عدا أعضاء الرحلة اشخاص كثيرون رأت مس ماربل بينهم لافينيا وكلوتيلد وشخصين أو ثلاثة من أهل القرية يغلب على الظن انهم جاءوا بدافع الفضول بسبب ما اشيع من ان الحادث ليس بالقضاء والقدر ..
وكان هناك أيضاً قس يناهز السبعين من العمر تبدو عليه مظاهر الضعف والمرض وقد رجحت مس ماربل انه صديق قديم لمس تمبل ، وانه ربما قد جاء من مكان بعيد خصيصاً لشهود الجنازة .

***

وبعد مغادرة الكنيسة . . تحدثت مس ماربل مع زملائها وعرفت ماذا سيفعل كل منهم .. عرفت ان بتلر وزوجته سيعودان إلى لندن وكذلك مستر كاسبار أما الكولونيل ووكر وزوجته ، ومس لوملي وصديقتها مس بنتهام وكذلك مسز بورتر والمهندس جيمسون ، فانهم قرروا مواصلة الرحلة ..

بقيت الصديقتان ، مس بارو . ومس كوك .

كان ترددهما واضحاً إلى ان حسمته مس بارو بقولها :

– ان المناظر الطبيعية هنا رائعة .. وأظن أننا سنبقى في الفندق بعض الوقت .. أو ليس هذا ما ستفعلينه أنت أيضاً يا مس ماربل ..؟

– أظن ذلك ... فليست لدي القدرة على الرحيل وأعتقد أن راحة يومين أو ثلاثة أيام هنا ستفيدني كثيراً بعد ما حدث .

* * *

وسار كل في طريقه ، وانحرفت مس ماربل في شارع جانبي . واخرجت من حقيبتها ورقة كانت قد سجلت عليها عنواناً ، وبعد قليل كانت تدق باب بيت صغير جميل في نهاية الشارع قبل انحداره نحو المزارع .

وفتحت الباب سيدة ضئيلة الجسم فسألتها مس ماربل :

– هل انت مسز بلاكيت ؟

– نعم يا سيدتي .. هذا هو اسمي ..

– أريد أن أتحدث اليك دقيقة أو دقيقتين فهل أستطيع الدخول . ؟ انني متعبة قليلاً وأشعر بدوار .

– أدخلي يا سيدتي .. وتفضلي بالجلوس . هل أستطيع أن أفعل شيئاً من أجلك .. ؟

– كلا .. شكراً .. حسبي كوب ماء ..

وعادت اليها مسز بلاكيت بكوب مـاء. وبحديث طويل عن قريب لها تعتريه نوبات من الدوار تلقية أرضاً في بعض الأحيان .

وبعد أن فرغت من حديثها قالت مس ماربل :

– قيل لي أنك عمة فتاة تدعى نورا برود . فهل تعلمين أين أجدها .. ؟

– لماذا . ؟

فأجابت مس ماربل كذباً :

– أن قريبة لي في كندا كانت مع نورا في المدرسة ، ويبدو أنها وجدت لها عملاً في كندا.

فهزت مسز بلاكيت رأسها ببطء وقالت :

– نعم . ان نورا ابنة أخي حقاً .. ولكنها اختفت منذوقت طويل .. خرجت ذات يوم ولم تعد ... كانت فتاة حمقاء لا تصلح لشيء ... وقد أشيع أنها قتلت . ولكنني لا أصدق ذلك . خاصة وانهم لم يجدوا جثتها ..

– وهل كانت متقدمة في دراستها ؟

– أبداً .. كانت خاملة .. ولا هم لها إلا مصاحبة الشبان ، وأكبر الظن إنها هربت مع أحدهم .. واني اتوقع ان تعود ذات يوم بعـد أن تكون قد تعلمت درسها ، واكتشفت خواء كل الوعود المعسولة التي تسمعها من الشبان.

– الم يكن هنا من تستطيع الذهاب اليه عدا أسرتها ؟

– بل يوجد كثيرون كانوا يعطفون عليها .. هناك مثلاً أهل البيت القديم وخاصة مس كلوتيلد التي طالما اخلصت لها النصيحة .. وقدمت اليها الكثير من الهدايا والثياب .. ولكن الفتاة كانت تضرب بالنصائح عرض الأفق وتهرع إلى كل شاب يشير اليها باصبعه ..

أعلم انه لا يجدر بي – وانا عمتها – ان اقول كلاماً كهذا ولكنها الحقيقة

– وهل ابلغتم الشرطة عن اختفائها ؟

– طبعاً .. ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة ، لقد ذهبت الفتاة دون ان

تترك كلمة .. وقيل انها ركبت سيارة احد الشبان ولم يرها احد بعد ذلك ، أنا فأعتقد انها الآن في لندن او في مـــدينة كبرى اخرى حيث تعرض الفتيات مفاتنهن من أجل المال ..

- هل كانت جميلة ؟.

- بل كانت من أجمل فتيات القرية .. وكانت مفتونة بشعرها الأسود الطويل الجميل .

فقالت مس ماربل وهي تهم بالانصراف :

- لا شك ان قريبتي في كندا تجهل كل هذه الحقائق عنها .. شكراً يا مسز بلاكيت ، ومعذرة عما اضعت من وقتك .

الفصل السابع عشر

القس

عندما عادت مس ماربل الى الفندق وهي لاهثة الانفاس من التعب، هرعت اليها موظفة الاستقبال في الفندق قائلة :

– يوجد هنا شخص يريد مقابلتك يا مس ماربل .. انه القس برابازون ..

فبدت الدهشة على وجه مس ماربل ورددت :

- القس برابازون ؟.

– نعم . قال انه بحث عنك وعلم انك في الرحلة ، ويريد ان يتحدث اليك قبل ان تعودي الى لندن مع العائدين وقد اجلسته في بهو التليفزيون بعيداً عن الضوضاء .

فقصدت مس ماربل الى البهو الذي ذكرته لها موظفة الاستقبال، ووجدت أن القس برابازون هو نفس القس العجوز الذي رأته في الكنيسة في الصباح..

ونهض الرجل واقفاً حالما رآها وقال وهو يقترب منها :

- مس جين ماربل ؟.

– نعم . ذلك هو اسمي .. هل أردت ..

– أنا القس برابازون . وقد جئت صباح اليوم للاشتراك في جنازة صديقة عزيزة هي مس اليزابيث تمبل .

ـ أحقاً ؟ تفضل بالجلوس .

فجلس وقال :

ـ يجب أن أوضح لك سبب قدومي .. الواقع انني مررت بمستشفى (كاريستون) وتحدثت الى كبيرة الممرضات قبل ذهابي الى الكنيسة .. وهي التي قالت لي أن اليزابيث طلبت قبل موتها مقابلة احدى أعضاء الرحلة واسمها مس جين ماربل ، وأن مس ماربل زارتها وجلست معها فترة قصيرة قبيل الوفاة .

قال ذلك ونظر الى مس ماربل بقلق ، فقالت :

ـ هذا صحيح .. وقد ادهشني أن ترسل مس تمبل في طلبي .

ـ هل أنت احدى صديقاتها ؟.

ـ كلا .. انما قابلتها لأول مرة في هذه الرحلة . وذلك مبعث دهشتي لقد تحدثنا معاً وتعارفنا . ولكني لم أتوقع أن ترسل في طلبي وهي مريضة .

ـ الواقع .. انها جاءت في هذه الرحلة لزيارتي . انني اقيم في (فيلمنستر) التي كان مقرراً أن تصل اليها سيارة الرحلة بعد غد . كانت زيارتها لي أمر متفقاً عليه بيننا ، فقد ارادت التحدث إلي في أمور تهمها ..

ـ هل لي أن ألقي عليك سؤالاً ؟

ـ سلي ما تشائين يا مس ماربل .

ـ كان مما قالته لي مس تمبل انها لم تشترك في هذه الرحلة للمتعة .. وأنها بالنسبة اليها أشبه برحلة حج .

ـ هل قالت لك ذلك ؟. هذا كلام له مغزاه .

ـ أن ما أريد أن أسألك عنه الآن .. هو . هل تعتقد أن رحلة الحج التي تكلمت عنها هي زيارتك ؟.

ـ أظن ذلك .

ـ لقد دار الحديث بيني وبينها عن فتاة تدعى فيريتي .

ـ آه .. نعم .. فيريتي هانت . انها ماتت منذ سنوات عديدة . فهل تعلمين ذلك ؟.

ـ نعم . ولكن مس تمبل حدثتني عن أشياء لم أكن أعلمها . قالت لي أن الفتاة كانت مخطوبة لأبن مستر رافيل ومستر رافيل صديقي . أو كان صديقي وهو الذي دفع نفقات هذه الرحلة.. وأعتقد انه كان يريدني أن اقابل مس تمبل لعلها تستطيع أن تدلي الي ببعض المعلومات .

ـ معلومات عن فيريتي ؟.

ـ نعم .

انها حرصت على مقابلتي لهذا الغرض . كانت تريد الوقوف مني على بعض الحقائق .

ـ كانت تريد أن تعرف لماذا فسخت فيريتي خطوبتها لأبن مستر رافيل ؟

ـ ان فيريتي لم تفسخ الخطبة .. وأنا واثق من ذلك تمام الثقة .

ـ هل كانت مس تمبل تعرف هذه الحقيقة ؟.

ـ كلا . أنها كانت تشعر بالحيرة والتعاسة بسبب ما حدث وكانت تهدف من زيارتها لي الى الاستفسار عن الاسباب التي حالت دون اتمام الزواج .

ـ وما هي هذه الاسباب ؟. أرجو ألا تظن أنني أسأل بدافع الفضول .. أنني أقوم بمهمة وأود أن أعرف لماذا لم يتم الزواج بين مايكل رافيل وفيريتي هانت .

فحدق القس في وجهها لحظة ثم سأل :

ـ هل لك صلة بهذا الموضوع ؟.

ـ انني انفذ ارادة رجل مات .. هذا الرجل هو والد مايكل رافيل ..

فقال القس ببطء :

ـ لست أرى سبباً يمنعني من مصارحتك بكل ما أعلم .. أنك تسألينني عن أمور كان في نية اليزابيث تمبل أن تسألها وهي أمور أنا نفسي أجهلها .

كان في نية هذين الشابين أن يتزوجا .. وقد أعدا العدة لذلك، واتفقا معي على ان أعقد زواجهما . وفهمت منهما ان الزواج سيكون سراً ..

وكنت أعرف الفتاة جيداً .. منذ التحقت بمدرسة مس تمبل .. فلطالما أقمت الصلاة في كنيسة المدرسة .

وكانت فيريتي من أجمل الفتيات ، وارجحهن عقلاً .. وأنبلهن خلقاً ، وقد جاءت للاقامـــة مع مس كلوتيلد براد بوري عقب مصرع والديها في حادث طائرة .. فأحبتها كلوتيلد حباً لا حد له ، وفعلت كل ما في طاقتها لاسعادها .. ووجد هذا صداه في نفس فيريتي ، فأحبت كوتيلد كما لو كانت امها .

ولم تشأ كلوتيلد – وهي الذكية المثقفة – أن ترغم الفتـــاة على دخول الجامعة . وتركت لها اختيار طريقها ، فاختارت الفتاة الفنون والموسيقى وأقامت في البيت القديم مع الشقيقات الثلاث ، وكانت فيما أعلم جد سعيدة .

ولم أر فيريتي بعد ان اقامت هنا .. فان (فيلمنستر) حيث اقيم ، تبعد نحو ستين ميلاً . ولكنني كنت اكتب اليهـا واتلقى ردها بمناسبة الاعيـاد المختلفة .

وجاءتني ذات يوم ، فاذا هي فتاة ناضجة على جانب كبير من الجمال .

وكان معها شاب وسيم . هو مايكل ابن مستر رافيل .. وقالا لي انهما متحابان .. ويريدان الزواج .

– وهل وافقت على عقد زواجهما ؟ .

– نعم . ولعلك تعتقدين انه ما كان ينبغي لي ان اوافق .. ولكنني ادركت انهما جاءا الي سراً . وتبادر الى ذهني ان الآنسة كلوتيلد براد بوري ربما لم توافق على هذا الزواج وحاولت احباطه .. وانهاء الصلة بين الشابين ، ولها كل الحق في ذلك . فان مايكل رافيل لم يكن الزوج الذي تتمناه اية ام لابنتها .. كنت اعرف اباه واعلم انه كان مصدر متاعب لذويه منذ نعومـة اظفاره . وانه تورط في كثير من الجرائم .. ومثل اكثر من مرة امام محاكم

الاحداث وكانت له صلات بعديد من الفتيات ، ودخل السجن مرتين ..

وصفوة القول انه كان شاباً منحرفاً سيء السيرة ، ولكنه كان وسيماً .. فأحبته الفتيات وتورطن معه ، وكان إلى جانب ذلك ذكياً ، كريماً وفياً لأصدقائه ..

وعندما رأيتها أمامي ، لم أتردد في مصارحة فيريتي بكل ما أعلمه عن الشاب الذي تريد الاقتران به ، ولكني وجدت انه لم يحاول أن يخدعها وانه صارحها بحقيقته ، وبمتاعبه مع القانون ، ومغامراته مع الفتيات .. والمآزق التي تورط فيها ، والمشكلات والأحزان التي جلبها لأبيه .. ووعدها بأن يبدأ صفحة جديدة بعد الزواج ، وبأن كل شيء سوف يتغير .

فحذرتها بأن ذلك لن يحدث ، وبأن شيئاً لن يتغير ، وقلت لها أن الناس لن يتغيروا حتى ولو أرادوا .

فأجابت : انني أعلم ذلك يا أبتاه ، ولكني أحبه ، وسأحاول أن أصلحه وقد أنجح في ذلك وقد لا أنجح انها مخاطرة وسأرضخ لتبعاتها .

وأقول لك يا مس ماربل انني عقدت زواج كثيرين من الشباب .. بعضهم سعد بالزواج ، وبعضهم شقي به .. ولكني كنت دائماً أعرف بفراستي .. أيهم الصادق في حبه .. وأيهم الكاذب المخادع ، ولست أعني بالحب ، الجاذبية الجنسية ، فان الجنس لا يمكن أن يحتل مكانة الحب ، ولا يمكن أن ينجح الا به .. أما الحب ، فانه العاطفة التي تتضمن كل معاني الزواج .. تتضمن الاخلاص المتبادل في الغنى والفقر ، وفي الصحة والمرض .

لقد أحسست بأن هذين الشابين متحابان .. وبأنه لا توجد قوة يمكن أن تفرق بينهما إلا الموت .

وإلى هنا تنتهي القصة ، وليس بوسعي ان أذكر المزيد لأنني لا أعرف ما حدث بعد ذلك .

كل ما أعرفه اني وافقت على أن أزوجهما ، واني أعددت التدابير اللازمة

لذلك ، وحددنا اليوم والساعة والزمان والمكان ، وإذا كان هنـــاك ما ألام عليه ، فهو انني وافقت على أن يكون الزواج سراً .

– هل أراد ألا يعلم به أحد ؟.

– نعم .. كانت فيريتي تريد ألا يعلم به أحد ، ومن المؤكد أن مايكل كان يريد ذلك أيضاً .. ولعلهما كانا يخشيان أن يوقف الزواج لسبب أو لآخر.

وأعتقد أن الزواج – بالنسبة إلى فيريتي ، كان يعني شيئاً آخر عدا الحب .. كان يعني تحقيق رغبتها في الفرار وهي رغبـة طبيعية تولدت من ظروف حياتها ، فقد فقدت أبويها واستقبلت حياتها الجديدة وهي بعد تلميذة صغيرة خليقة بأن تفتتن بالشخصيات القوية أو المحبوبة أو الجميلة التي تراها في محيط حياتها .. مثل مدرسة الألعاب الرياضية أو مدرسة العلوم .. أو اية فتـــاة أكبر منها سناً ، تتخذها مثلها الأعلى ، ولكنه افتتان لا يستمر طويلاً ..لأنه مجرد مرحلة طبيعية من مراحل الحياة .

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية حين تدرك الفتاة أن الشيء الذي يكمـل نقصها . هو صلة الرجل بالمرأة ، ومن ثم تبدأ بحثها عن أليف ، فـــإذا كانت عاقلة .. فانها تتمهل حتى يأتي الأليف المناسب .

وقد كانت كلوتيلد براد بوري شديدة العطف على فيريتي .. وكلوتيلد لها شخصيتها كإمرأة .. فهي جميلة ، وجذابة ، ومثقفة ، وأعتقد أن فيريتي فتنت بها بطريقة رومانتيكية ، وأن كلوتيلد أحبت فـيريتي كما لو كانت ابنتها من لحمها ودمها .

وهكذا ترعرعت فيريتي ونضجت في جو من الحب ، وعاشت حياة سعيدة مثيرة ، ولكني أظن انها لم تلبث أن احست – دون أن تلاحظ ذلك – برغبة في الفرار .. الفرار من الحب الذي يحيط بها ويتركز فيها.. الفرار فحسب.. دون ان تعرف كيف وإلى اين ..

ولكنها عرفت حين قابلت مايكل .. عرفت انها تريد الفرار إلى الحيـاة

التي يجتمع فيها الرجل والمرأة لإنجاب الجيل التالي .. غير انهـا ادركت في ذات الوقت استحالة اقناع كلوتيلد وحملها على فهم شعورها .. كانت تعلم انها لن تعترف بهذا الحب ولن تقره وستعارضه بكل ما أوتيت من قوة .

واني اعترف الآن بأن كلوتيلد كانت على حق ، وإن مايكل لم يكن الزوج الخليق بفيريتي .. وان الطريق الذي سلكته الفتاة لم يقدها إلى حيـاة هنيئة وسعادة سابغة .. وإنما قادها إلى الألم وخيبة الأمـــل بل وإلى الموت بأبشع صورة .

إني احس بعقدة لذنب يا مس ماربل .. لأني لم أدرك غرض مايكل من كتمان أمر الزواج..اما غرض فيريتي فكان مفهوماً .. كانت كلوتيلد شخصية قوية وكان يمكن ان تؤثر على فيريتي وتقنعها بالعدول عن الزواج .

— هل تظن انها فعلت ذلك ؟. هل تظن انها حدثتها عن مايكل بما يكفي لحملها على فكرة الاقتران به ؟.

— كلا .. ولو قد فعلت لأتصلت بي فيريتي وأنبأتني .

— ماذا حدث فعلاً في اليوم المحدد للزواج ؟.

— قلت لك اننا حددنا اليوم والساعة والمكان .. وفي الوقت المحـــدد ، انتظرت العروسين .. ولكنهما لم يحضرا ولم يبعثا إلي بكلمة اعتذار.. وحتى الآن لم اعرف لماذا .. اني افهم أن يعدلا عن الزواج .. ولكن ما لا استطيع فهمه أو تصديقه ، هو الا يبعثا إلي ولو بكلمة واحدة عن أسبـاب تخلفهما عن الموعد المتفق عليه ..

لهذا رجوت ان تكون اليزابيث تمبل قد قالت لك شيئاً في هذا الصدد قبل موتها .. أو ان تكون قد حملتك رسالة لي .

— إنها كانت تريد ان تعرف ما لديك من معلومات ، انا واثقة من أن ذلك كان غرضها من زيارتك .

— ربما كنت على حق .. اني افهم ان تكتم فيريتي أمر زواجهـــا عمن

يستطيعون ان يملكوا منعه ، مثل كلوتيلد برادبوري أو انثيا براد بوري ..
ولكن ليس هناك ما يمنعها من ان تفضي به بطريقة ما ، إلى شخصية تحبها
ولها تأثير كبير عليها مثل اليزابيث تمبل .

– اظن انها فعلت ذلك ؟.

– كيف ؟.

– إنها انبأتها بأنها ستقترن بمايكل رافيل فقد قالت لي تمبل : اني اعرف فتاة تدعى فيريتي .. كانت على وشك الاقتران بمايكل رافيل .

والشخص الوحيد الذي كان في استطاعته ان ينهي اليها هذا النبأ هو فيريتي .

إذن لا بد ان تكون فيريتي قد كتبت اليها .. او انبأتها بطريقة ما .
ولما سألت مس تمبل ولماذا لم يتم الزواج ؟

أجابت : لأنها ماتت .

فتنهد القس وقال :

– إن كل ما أعلمه هو ان فيريتي ومايكل اتفقا على الزواج وفي الموعد المحدد ، لم يظهر العريس ولم تظهر العروس ، ولم يبعثا الي بكلمة ..

– أليست لديك اية فكرة عما يمكن ان يكون قد حدث ؟.

– اني لا اعتقد ابداً ان فيريتي ومايكل يمكن أن يكونا قد اختلفا وافترقا إلى الابد .

– ولكن لا بد ان شيئاً حدث بينهما. شيئاً فتح عيني فيريتي على حقائق عن اخلاق مايكل وشخصيته لم نكن تعرفها من قبل .

– هذا جواب غير مقنع . وحتى لو حدث هذا لكانت اتصلت بي وانبأتني .. ولم تتركني في انتظارهما.. خاصة وانها معروفة بالادب والكياسة كلا.. كلا ليس هناك سوى شيء واحد يمكن ان يمنعها من القدوم او الاعتذار.

– الموت ؟

– نعم .. الموت .

فقالت مس ماربل وهي مستغرقة في التفكير :

– الحب ..

– ماذا تعنين ؟.

– ذلك ما قالته مس تمبل .. سألتها « ماذا قتلها ؟ » فأجابت : « الحب » ثم استطردت قائلة انه لا توجد في الدنيا كلمة اشد رهبة من كلمة « الحب ».

– اظن اني فهمت .

– هل وجدت حلا ؟

– نعم . انه انفصام الشخصية .. اني لست خبيراً بالمسائل الطبية والتحليل النفسي .. ولكني اعتقد ان مايكل رافيل كان ذا شخصية مزدوجة ، فهو تارة شاب لطيف مهذب يبحث عن السعادة ، وتارة اخرى شخصية مريضة مختلة العقل والشعور ، لا تتورع عن قتل احب الناس اليها لغير ما سبب .

– هل سبق ان بدا منه ما يؤيد اصابته بازدواج الشخصية ؟

– لا اعلم .. كل ما اعلمه انه كان في مقدمة المشتبه فيهم عقب اختفاء الفتاة .. وقدظل موضع ريبة رجال الشرطة الى ان وجدت الفتاة مخنوقة ، ورأسها مهشماً بطريقة وحشية لا يقدم عليها إلا مجنون .

فمرت بجسد مس ماربل رعدة شديدة واستطرد القس قائلاً :

– لطالما تمنيت .. وما زلت اتمنى ان يكون من قتلها شخصاً آخر غير مايكل .. شخصاً مجنوناً لا يعرف الناس مدى جنونه .. شخصاً قابلته مصادفة وركبت معه سيارته .. ثم ..

– من المحتمل ان يكون هذا ما حدث فعلاً ..

– لا اعلم .. لقد كان موقف مايكل اثناء المحاكمة مزرياً قال اكاذيب كثيرة لا معنى لها .. واستشهد بأصدقاء له كانوا اكذب منه .. كان مذهولاً

وخائفاً .. ولم يقل شيئاً عن مشروع زواجه من فيريتي ، ويبدو ان محاميه نصحه بذلك حتى لا يقال ان الفتاة حملت منه وارادت ان ترغمه على الاقتران بها فتخلص منها بقتلها . اني لا اذكر التفصيلات بعد مضي كل هذه السنين .. ولكن الادلة كانت كلها ضده . وكانت جريمته مسطرة على وجهه ..

واستطرد القس :

– اني بائس وحزين يا مس مـــاربل ، لاني اسأت الحكم والتقدير ولم أفهم الطبيعة البشرية ، فشجعت فتاة رقيقة طيبة على الذهاب إلى حتفها .

كنت اجهل الخطر الذي يترصدها ، وإعتقد انها إذا احست بخوف منه ، او اكتشفت ناحية شريرة في خلقه وطباعه ، فانها لن تتردد في انهاء علاقتها به وصارحتني بما اكتشفته ..

ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث .. ولذا اتساءل : لماذا قتلها ؟ هل قتلها لانه علم إنها ستلد ؟ او لانه اتصل بفتاة اخرى ولم يشأ ان يرغم على الاقتران بفيريتي ؟ او لان شيئاً فيه اخافها منه فقطعت صلتها به فثارت ثائرته وقتلها ومثل بجثتها ؟

– لا احد يعلم ؟

– ولكنك ما زلت تعلم وتؤمن بأمر واحد ..

– ما هو ؟

– هو ان هذين العاشقين كانا يتبادلان الحب وكانا يعتزمان الزواج فعلاً ، ثم حدث شيء منعهما من الزواج ، شيء انتهى بموت الفتــاة .. ولولاه لحضرا اليك لعقد زواجهما

– اصبت يا سيدتي العزيزة ، اني لا استطيع ابداً ان افقد ايماني بعاشقين ارادا الزواج ومواجهة الحياة بحلوها ومرها ، في الغنى والفقر ، وفي الصحة والمرض ..

– لا تتزحزح اذن عن هذا الايمان ، فاني ايضا اشاركك فيه !

– ولكن ماذا بعد ذلك ؟

– لا اعلم ، ولكني اظن ان اليزابيث تمبل كانت تعرف او بدأت تعرف حقيقة ما حدث ، لقد قالت ان الحب كلمة رهيبة ، فظننت ان الفتاة انتحرت ربما لانها اكتشفت فيمن تحب شيئا ازعجها ، ولكن يبدو ان فكرة الانتحار في هذه الحالة مستحيلة .

– ان الانسان لا ينتحر بتهشيم رأسه وتشويه وجهه !

– كذلك لا يستطيع عاشق ان يفعل ذلك بفتاة احبها ،حتى لو اضطر الى قتلها بدافع (الحب).. انه قد يقتلها خنقا ، ولكنه لا يهشم الرأس ولا يشوه الوجه الذي احبه .

ثم غمغمت قائلة :

– الحب .. يا لها من كلمة مخيفة !!

الفصل الثامن عشر

وداع

وقفت السيارة بباب الفندق في صباح اليوم التالي، استعداداً لمواصلة الرحلة، واقتربت منها مس ماربل لتودع زملائها . ووجدت مسز بورتر تتميز غضباً وتقول بصوت مرتفع :

– ما أعجب الفتيات في هذا الزمن !! لا نشاط . ولا قوة . ولا قدرة على الاحتمال .

فنظرت اليها مس ماربل متسائلة واستطردت مسز بورتر قائلة :

– انني اعني جوانا .. ابنة أخي .

– ماذا بها .. ؟ هل هي مريضة .. ؟

– انها تزعم بأنها تشعر بالتهاب في الحلق . وارتفـاع في درجة الحرارة .. كلام فارغ طبعاً ..

– هل أستطيع أن أفعل شيئاً من أجلها ..؟

– من رأيي أن تدعيها وشأنها . كل هذه أعذار .

فنظرت اليها مس ماربل متسائلة مرة أخرى .. فقالت مس بورتر :

– ما أغبى الفتيات .. دائماً يقعن في الحب .

– أملين برايس . ؟

- أرى أنك لاحظت ذلك . انه شاب تافه لا يساوي قلامة ظفر .. شعر طويل .. وسروال ضيق ، وقميص ملون

وقلبت شفتيها احتقاراً واستطردت قائلة :

- يبدو انهما اتفقا على التخلف هنا لزيارة بعض المناطق الجبلية على مسافة سبعة أو ثمانية أميال سيقطعانها سيراً على الأقدام ..

- ولكن .. اذا كانت تشعر بالتهاب في الحلق . وارتفـــاع في درجة الحرارة .. فان .

- سوف ترين بمجرد رحيل السيارة ان الالتهاب قد زال وان الحرارة قد هبطت . . آه . أظن أنه قد حان موعد الرحيل .. وداعاً يا مس ماربل .

ونظرت مس ماربل حولها ورأت وانستيد يلوح بيده مودعاً المسافرين فقالت له :

- أريد أن اتحدث اليك .. ألا يوجد هنا مكان هادىء ..

- توجد الشرفة حيث كنا نجلس منذ يومين ..

وخرجا إلى شرفة الفندق وهناك قال وانستيد :

- كنت أود أن أراك ترحلين بالسيارة في امان ماذا يبقيك هنا .. التعب أم شيء آخر .. ؟

- شيء آخر ..

- لكم أود أن أبقى هنا لأعاونك وأسهر عليك !!

- كلا .. لا ضرورة لبقائك .. فهناك مهمة أخرى أريدك أن تقوم بها .

- وما هي هذه المهمة .. ؟

فأخرجت من حقيبتها قصاصة من الورق قدمتها اليه وهي تقول :

- أريدك أن تذهب إلى هذا العنوان .. انه عنوان إحدى الجمعيات الخيرية .. سل هناك عن محتويات طرد أرسل اليهم من مكتب بريد القرية منـــذ يومين ..

فقال وهو يتناول الورقة :

ـ وهل لهذا الطرد شيء من الأهمية .. ؟

ـ قد تكون لمحتوياته أهمية عظمى .

ـ أرى أن لديك معلومات تودين الاحتفاظ بسريتها ..

ـ انها ليست معلومات مؤكدة .. ولكنها مجرد احتمالات لا أستطيع أن أجزم بصحتها .

ـ هل ثمة شيء آخر ...

ـأظن ... أظن أنه ينبغي لمن يهمهم الأمر أن يتوقعوا ظهور جثة ثانية ..

ـ تعنين جثة ثانية لها صلة بالجريمة التي حدثت منذ نحو عشرة أعوام .. ؟

ـ نعم ... أنا واثقة من ذلك .

ـ جثة ثانية .. ؟ جثة من .. ؟ جثة من .. ؟

ـ أظن أن لدي فكرة عن ذلك .

ـ وهل لديك كذلك فكرة عن مكانها .. ولكن لم يحن الوقت بعد لكي أذكره لك .

ـ لمن الجثة .. ؟ لرجل أم امرأة أم طفل .. ؟

ـ انها لفتاة اختفت من هنا منذ وقت طويل .. فتاة تدعى نورا برود .. وأظن انني عرفت المكان الذي دفنت فيه ..

فحدق وانستيد في وجهها طويلاً ثم قال :

ـ كلما مضيت في حديثك .. قويت رغبتي في البقاء إلى جانبك لحراستك

ـ كلا لا ضرورة لذلك ..

ـ يخيل الي من كلامك انك تعرفين أشياء كثيرة ..

وفي هذه اللحظة فتح باب الشرفة ودخلت مس كوك ومس بارو .. فهتفت وانستيد :

ـ هالو .. ظننت انكما رحلتما بالسيارة .

فقالت مس كوك في مرح :

– لقد عدلنا عن رأينا في آخر لحظة . فقد وجدنا في هذه المنطقة بعض معالم تستحق الزيارة . منها كنيسة قديمة من عهد (السكسون) تقع على بعد أربعة أميال ويمكن الوصول اليهـــا بالأتوبيس المحلي .. انني شديدة الأهتمام بهندسة الكنائس .

فقالت مس بارو :

– وأنا كذلك .. ولذلك فكرنا في أن نقضي هنا يومين أو ثلاثة قبل أن نعود .

– هل ستقيمان في هذا الفندق .. ؟

- نعم ، من حسن الحظ اننا وجدنا به غرفة فسيحة جميلة افضل من تلك التي اقمنا بها خلال اليومين السابقين .

وهنا نظرت مس ماربل الى الاستاذ وانستد وقالت :

– اظن انك يجب ان تذهب الآن والا فاتك القطار .

– حسناً انما ارجو .

– كن مطمئنا .. فاني اعرف كيف اعنى بنفسي .

الفصل التاسع عشر

مس ماربل لها رأي

ما أن همت مس ماربل بارتشاف قهوتها في شرفة الفنــدق بعد الغذاء حتى رأت شخصاً طويل القامة نحيفاً يقترب منها ويحدثها وهو لاهث الانفاس .

كان ذلك الشخص هو انثيا برادبوري ..

قالت :

– كنا نظن انك رحلت بالسيارة ، وعلمنا الآن فقط انك تخلفت عن الرحلة . وقد أرسلتني كلوتيلد ولافينيا لكي أرجوك أن تعودي للاقامة معنا إلى أن يحين موعد رحيلك .. سنكون سعداء حقاً اذا أنت استجبت لرجائنا .

فقالت مس ماربل :

– هذا كرم منكن .. الواقع اني كنت أنوي الرحيل مع السيــــارة .. ولكني أحسست بعد ذلك الحادث المؤلم بأنني لن أستطيع مواصلة الرحلة .. وآثرت أن أستريح هنا ولو ليلة واحدة .

– سيكون أفضل لك أن تقيمي معنا .. وسنحـــاول أن نوفر لك كل أسباب الراحة ..

– انني لا أشك في ذلك . ولست أنكر انني نعمت معكن بالهدوء والراحة .. أن كل ما عندكن جميل .. البيت والاثاث .. والآنية ..

اذن يجب أن تعودي معي الآن . سأساعدك في اعداد حقيبتك ..

ولم يسع مس ماربل ازاء اصرار الفتاة إلا أن توافق .. وبعد نحو نصف ساعة .. كانت تجلس مع الشقيقات الثلاث في قاعة الاستقبال ..

قالت لنفسها :

ـ هاأنذا قد عدت مرة أخرى .

وأغمضت عينيها لحظة ، وحاولت أن تسبر غور مشاعرها وانطباعاتها عندما دخلت البيت القديم للمرة الثانية .

هل شعرت بأن في جو ذلك البيت ما يثير الريبة ؟

كلا .. لقد كان الجو ينم عن الشقاء والتعاسة اكثر مما يبعث على الارتياب..

وفتحت عينيها ونظرت الى لافينيا وكانت قد دخلت في التو واللحظة حاملة اقداح الشاي ..

انها كالعهد بها امرأة عادية بسيطة خالية من العقد .

ترى هل روضت نفسها بعد حياة كلها شقاء ومتاعب على اخفاء حقيقة مشاعرها عن عيون الناس ؟.

ثم نظرت الى كلوتيلد .. انها تذكرها بأمرأة أغريقية تدعى (كليتمنسترا) تقول الاساطير انها قتلت زوجها في الحمام .. ولكن من المحقق أن كلوتيلد لم تقتل زوجها .. لأنها لم يكن لها زوج قط . كذلك لا يمكن أن تكون قد قتلت الفتاة التي قيل أنها كانت تحبها حب عبادة .. انها واثقة من ذلك لأنها رأت الدموع تترقرق في عينيها حين دار الحديث حول مصرع فيريتي .

وماذا عن انثيا ؟.

أن انثيا هي التي أرسلت الطرد بالبريد

وأنثيا هي التي جاءت لتدعوها للاقامة في البيت

الواقع أنها لا تستطيع ان تفهم هذه الفتاة . أن عينيها تدوران حولها بسرعة وكأنها تخشى شيئاً .. ولكن ماذا تخشى ؟. هل هي مريضة عقلياً

وتخشى أن يعيدوها الى المصحة التي قضت فيها بعض سني حياتها ؟. هل تخشى أن تظن اختاها انه ليس من الحكمة أن تظل طليقة ؟. هل تشفق اختاها مما قد تقوله أو تفعله ؟.

كان في الجو شيء .. ولكن ما هو ؟.

* * *

وخرجت لافينيا باقداح الشاي وانطلقت انثيـــا الى الحديقة .. وبقيت كلوتيلد وحدها مع مس ماربل ..

قالت هذه الأخيرة :

– هل تعرفين قساً يدعى بربازون ؟.

– نعم .. انه كان في الكنيسة أمس .. هل تعرفينه أنت ؟.

– كلا .. ولكنه زارني في الفندق وتحدث إلي . قـــال انه ذهب الى المستشفى بعد وفـاة مس تمبل . وسأل عما اذا كانت قد تركت له رسالة .. ويبدو أن مس تمبل كانت تنوي زيارته . وقد أجبته بانهـا كانت في غيبوبة طوال فترة زيارتي لها . وانها لم تحملني أية رسالة له ..

فقالت كلوتيلد :

– ألم تقل شيئاً ؟. ألم تقل أي شيء يوضح الحادث الذي أودى بحياتها ؟.

– كلا ..

– هل تعتقدين انه وقع قضاء او قدراً . او ان ما قالته جوانا كروفورد واملين برايس من انهما رأيا شخصاً يدحرج الحجر له نصيب من الصحة ؟.

– ما داما قد قالا ذلك فلا بد انهما رأياه ..

ودخلت انثيا في هذه اللحظة وهي تحمل باقة من الزهور البيضاء .. قالت وهي تضحك ضحكة عصبية غريبة :

ـ لقد احضرت باقة من الزهور الجنائزية ..

فعبست كلوتيلد وصاحت :

ـ انثيا .. لا ينبغي أن تقولي كلاماً كهذا

فضحكت أنثيا في مرح وقالت :

ـ سأذهب لأضعها في إناء .

وخرجت فقالت كلوتيلد :

ـ إن حالتها تزداد سوءاً يوماً بعد يوم ..

ـ هل يقلقك أمرها ؟.

ـ إنها أصغرنا .. وكانت دائماً معتلة الصحة شاذة في تصرفاتها .. ولكن من المؤكد انها ازدادت سوءاً في الفترة الأخيرة ، لأنها لا تقدر المسؤولية ، وتضحك ضحكات هستيريه بلهاء حين لا يكون هناك ما يستوجب الضحك.. نحن لا نريد أن نرسلها إلى .. أي مكان آخر .. إنها بحاجة إلى العلاج ولكنها ترفض مغادرة البيت .. إنه بيتها على كل حال ..

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة :

ـ إن لافينيا تريد العودة إلى كوخها بالقرب من لندن ، وأعتقد أنها تخشى أنثيا رغم انني طالمـــا قلت لها انه ليس هناك ما تخشاه منها.. إنها تقول أشياء غريبة وتبدي أفكاراً شاذة في بعض الأحيان.. ولكنها ليست خطرة.

لقد فكرت في بيع هذا البيت ، والانتقال إلى مكان آخر ، لعل تغيير البيئة والجو يفيداها .

ـ لا شك أن من بواعث ألمك وحزنك ، أن تجدي نفسك هنا وسط كل ذكريات الماضي !!

ـ أتدركين ذلك ؟. انني أعود بأفكاري دائماً إلى تلك الابنـــة العزيزة المحبوبة .. كانت جميلة وذكية وفاتنة وممتازة وكنت أحبها وأفخر بها .. ثم جاء ذلك المعتوه المريض العقل ..

ـ تعنين مايكل رافيل ؟.

ـ نعم .. وليته ما جاء .. كان يقيم في هذه المنطقة واقترح عليه أبوه ان يزورنا فجاء وتناول الطعام معنا .. وكان ظريفاً رغم انحرافه وماضيه الحافل بالجرائم .. ولم أتصور أبداً أن فيريتي يمكن ان تقع في حبائله .. ظننت في البداية أن الأمر مجرد افتتان .. كما يحدث للفتيات عادة في مثل هـذه السن .. ولكنها تدلهت في حبه ، وصارت لا تفكر إلا فيه .. وترفض سماع أية كلمة ضده .. وتصر على ان كل ما حدث له ، كان خارجاً عن إرادته ولا ذنب له فيه .. وإن جميع الناس يناصبونه العداء ظلمـــاً ، إلى آخر هذه العبارات الجوفاء المألوفة .

ولما لم تجد معها النصائح ، حاولت ان أبعده عن البيت ، وطلبت اليه أن يكف عن زيارتنا .. وكان ذلك خطأ بطبيعة الحال ، أدركته فيما بعد ، لأنها راحت تقابله خارج البيت في أماكن مختلفة ، كان ينتظرها بسيارتـه في أماكن متفق عليها بينهما .. ويعيدها آخر الليل ، وحدث مرة أو مرتين أنه لم يعدها إلا في اليوم التالي .. وحاولت ان أقنعهما بأن كل ذلك يجب أن ينتهي .. ولكنهما أبيا الاصغاء الي ..

ـ هل كان في نيتها الاقتران به ؟

ـ لا أظن ان الأمر وصل إلى هذا الحد .. ولا اعتقد ابداً انه اراد الزواج أو فكر فيه .

ـ مسكينة أنت .. لا بد انك تألمت كثيراً .

ـ نعم .. وكانت أشد آلامي عندما دعيت للتعرف على جثتها ، بعد أن اختفت مدة طويلة ، وانقطعت أخبارها .. لقد تبادر إلى أذهاننا حين اختفت انها فرت معه وتوقعنا أن يصلنا نبأ عنها في وقت قريب .. ولكن رجـــال البوليس كانوا ينظرون إلى الموضوع نظرة أخرى ، فاستدعوا مايكل وطلبوا اليه ان يتعاون معهم في البحث عنها .

وأخيراً وجدوا جثتها في مكان مهجور يبعد عن هنا نحو ثلاثـــين ميلاً .. وذهبت إلى المشرحة لرؤيتها .. كان منظراً مخيفاً ، يـدل على منتهى القسوة والوحشية ، لماذا فعل بها ذلك ؟ ألم يكفه انه قتلها خنقاً ؟. أواه .. لم أعـد أطيق الحديث في هذا الموضوع .

وانهمرت الدموع من عينيها .. فقالت مس ماربل :

– انني جد آسفة .

فقالت كلوتيلد :

– انني لا اكف عن التفكير في فيريتي ، وفي الطريقـة البشعة التي قتلت بها .. ولكني أشعر ببعض العزاء أحياناً عندما افكر ان الفتيات قد أمن شر ذلك المنكود .. لقد حكم عليه بالسجن المؤبد . وهو سجين الآن ولن يسمح له بالخروج حياً حتى لا يرتكب جرائم أخرى .. على انني اتساءل ، لمـــاذا لم يرسلوه الى احدى المؤسسات التي يضعون فيها المجرمين غير المسؤولين ، اعـني المجرمين ذوي العقول المريضة ؟. انا واثقة من انه لم يكن مسؤولاً عن فعل .

قالت ذلك ونهضت ، وغادرت الغرفة في لحظة دخول لافينيا .

قالت هذه وهي تجلس :

– لا تعبأي بكل ما تقوله كلوتيلد .. انها لم تبرأ تماماً بعد من الصدمة التي أصابتها من مصرع فيريتي .. كانت تحب فيريتي بجنون ..

– ويبدو أيضاً انها قلقة على اختك الأخرى .

– انثيا ؟. ان انثيا بخير .. صحيح انها عصبية وسريعة الإنفعال، وتتخيل أموراً بعيدة عن الحقيقة ، ولكن ليس ثمة ما يدعو كلوتيلد للقلق عليها .

يا الهي .. من الذي يطل من النافذة ؟

فنظرت مس ماربل ، ورأت في اطار النافذة وجهين مألوفين ، وجهي مس بارو ومس كوك ..

قالت الأولى :

– معذرة ، فقد كنا نمر من هنا وخطر لنا ان نسأل عن مس ماربل .. قيل لنا في الفندق انها جاءت للاقامة هنا .. آه .. اهذه انت يا مس مـاربل العزيزة .. لقد أردت أن أقول لك اننا لن نذهب الى تلك الكنيسة اليوم لأنها مغلقة بسبب أعمال الترميم والنظافة ولكننا سنذهب غداً.. وقد خطر لي انك ربمـا تودين مرافقتنا اليها غداً ، أرجو أن تغفري لنا وقوفنا أمام النافذة ، الواقع اني دققت الجرس فلم يدق .

فقالت لافينيا :

– انه متقلب المزاج يدق تارة ويتمرد تارة اخرى . لماذا لا تتفضلان بالدخول ؟.

– شكراً .. اننا سنعود الآن إلى الفندق لتناول طعام العشاء ، ألا تأتين معنا يا مس ماربل ؟

– كلا .. فقد تفضل آل براد بوري بدعوتي للاقامة هنا ليلة أخرى .

– ما أسعد حظك . أنا واثقة من انك ستجدين هنا الراحة التي تنشدينها والواقع .. ان الجلبة في الفندق لا تطاق ..

فقالت لافينيا :

– لماذا لا تعودان بعد العشاء لتتناولا معنا قدحاً من القهوة ؟

– شكراً لك .. سوف يسعدنا حقاً ان ننعم بكرم ضيافتك .

الفصل العشرون

الساعة تدق الثالثة

عادت مس كوك ومس بارو الى البيت القديم في منتصف الساعة التاسعة تماماً ..

وقبل قدومهما ، كانت مس ماربل تتناول العشاء مع الشقيقات الثلاث ، فقالت أنثيا .

– اليس غريباً أن تتخلف هاتان السيدتان عن الرحلة ؟

فأجابت مس ماربل :

– وأية غرابة في ذلك ؟. لا شك ان لديهما خطة مرسومة وضعتاها بدقة متناهية .

– ماذا تعنين ؟.

– اعني انهما وضعتا في حسابهما كافة الاحتمالات وأعدتا العدة لها ..

– يخيل الي ان فيهما شيئاً من الغموض .. الا تظنين ذلك يا كلوتيلد ؟

فأجابت كلوتيلد :

– لعلك على حق .. فإن في سلوكها كثيراً من الزيف .

فقالت مس ماربل :

– الواقع اني لم ألاحظ ذلك .. ولكن دعونا منهما .. لقد قضيت هنا اليوم

وقتاً رائعاً . وغداً صباحاً سأزور الحديقة واتفقد زهورالشجيرات التي نبلت فوق انقاض بيت الزهور ، لقد رأيتها منذ يومين وكانت قد بـــدأت تتفتح واعتقد اني سأجدها غداً باقة يانعة تذكرني دائماً بزيارتي لهذا البيت .

فقالت انثيا :

– اني امقتها واريد ازالتها لكي اقيم مكانها بيتاً جديداً للزهور .. وهذا ما سنفعله حتماً متى توفر لدينا المال الكافي ، اليس كذلك يا كلوتيلد ؟

فقالت كلوتيلد :

– أظن اننا بحثنا هذا الموضوع مراراً .. ثم ما حاجتنا الآن إلى بيت للزهور ؟

فقالت لافينيا :

– لا ضرورة لهذه المناقشات العقيمة .. هلموا بنا الى قاعة الاستقبال فقد حان موعد قدوم ضيفينا ..

* * *

وجاءت الضيفتان ، فقدمت كلوتيلد لكل منهما قدحاً من القهوة .. ثم انطلقت الى المطبخ وعادت بقدح ثالث وضعته امام مس ماربل فقالت مس كوك :

– معذرة يا مس ماربل .. لو انني في مثل سنك ما شربت القهوة في مثل هذه الساعة .. انها سوف تصيبك بالأرق .

– انظنين ذلك ؟ اني تعودت احتساء القهوة في المساء .

– نعم ، ولكن هذه القهوة قوية ومركزة.. ونصيحتي لك الا تشربيها.

فنظرت اليها مس ماربل ، ورأت على وجهها دلائل القلق ولاحظت انهـا غمزت قليلاً بعينها ، فقالت :

– اظنك على صواب .. هل توفرت على دراسة اصول التغذية ؟

– تلك احدى هواياتي .. وقد تدربت كذلك على التمريض .. فان كلا

منهما يرتبط بالآخر ..

– هذا صحيح .

ونحت مس ماربل القدح جانباً وقالت :

– هل لديكم صورة لتلك الفتاة ؟. اعني فيريتي هانت ؟ لقد أطنب القس في وصفها ، ويبدو انه كان يحبها .

فقالت كلوتيلد :

– انه كان يحب جميع الشباب ..

وسارت الى مكتب صغير في ركن الغرفة ، وفتحت احد الأدراج ، وتناولت منها صورة قدمتها الى مس ماربل وهي تقول :

– اليك صورتها .

فهتفت مس ماربل وهي تتأمل الصورة :

– يا له من وجه فاتن . انه وجه غير عادي . مسكينة تلك الفتاة .

فقالت انثيا

– من المزعج ان ما حدث لها .. ما زال يحدث لكثير من الفتيات .. انهن يصادقن كل من هب ودب من الشباب دون ان يهتم احد بتبصيرهن وتوجيههن الوجهة السليمة .

فقالت كلوتيلد :

– ان على الفتيات في هذه الأيام ان يحرصن على انفسهن .. ولكنهن لا يعرفن كيف .. كان الله في عونهن .

ومدت يدها لتسترد الصورة من مس ماربل ، ومس كمهـا قدح القهوة فسقط على الأرض ..

وهتفت مس ماربل في انزعاج :

– يا إلهي .. هل أنا السبب ؟. هل دفعت ذراعك دون أن أشعر ؟.

فقالت كلوتيلد :

ـ كلا .. انه لم ثوبي .. هل أحضر لك قدحاً من اللبن الدافىء مـا دامت القهوة لا تلائمك ؟.

ـ أكون شاكرة لو فعلت .. إن اللبن الدافىء يلطف من توتر الأعصـاب قبل النوم ..

* * *

وبعد حـــديث قصير ، استأذنت مس كوك ومس بارو للانصراف ، واحدثتا عند رحيلهما جلبة وهرجاً لا مبرر لهما .. إذ نسيت إحداهما حقيبة يدها فعادت مهرولة لتأخذها .. ونسيت الأخرى منديلها وفعلت المثل .. وما أن انصرفتا حتى تنفست أنثيا الصعداء وقالت :

ـ ضجيج .. ضجيج .. ضجيج لا نهاية له .

فقالت لافينيا :

ـ انني اؤيد كلوتيلد .. في ان بهما شيئاً من الزيف .

وقالت مس ماربل :

ـ ذلك رأيي أيضاً .. لقد فكرت في أمرهما طويلاً وتساءلت لماذا اشتركتا في هذه الرحلة .. وهل استمتعتا بها وما سبب قدومهما ..

فسألتها كلوتيلد :

ـ وهل عرفت الاجابة على كل هذه الأسئلة ؟

فتنهدت مس ماربل وقالت :

ـ أظن ذلك .. انني عرفت جواب كثير من الأسئلة .

* * *

وأحضرت كلوتيلد من المطبخ قدحاً من اللبن الدافىء ، ورافقت مس ماربل

إلى غرفتها وهناك سألتها

- هل تحتاجين إلى شيء آخر ؟ اي شيء ؟

- كلا .. اني شاكرة لك ولأختيك ما فعلتن من أجلي .

- ما كان ينبغي ان نفعل أقل مما فعلنا ، خاصة بعد أن تسلمنا رسالة مستر رافيل ..

- لقد كان رجلاً كريماً ذا عقل مرتب .

- وأعتقد انه كان كذلك من كبار رجال المال .. هل أرسل لك طعام الافطار في الصباح ؟ ربما تفضلين عدم مغادرة غرفتك ..

- كلا .. كلا .. لن أكلفك كل هذا العناء . سأتناول الافطار في قاعة الطعام .

- إذن طابت ليلتك ، أتمنى لك نوماً هـ يئاً .

* * *

دقت الساعة في بهو البيت القديم الثانية

.كان بالبيت اكثر من ساعة ، وكلها لا تدق معاً ، وبعضها لا يدق ابداً

وبعد ساعة ، دقت، ساعة الطابق الاول الثالثة ، ورأت مس ماربل ضوءاً ينبعث من الفراغ تحت باب غرفتها . فاعتدلت جالسة في فراشها ، ووضعت اصبعها على زر المصباح الكهربائي .

واختفى الضوء ، وفتح الباب بهدوء ، وسمعت مس ماربـــل وقع خطى بطيئة لا تـكاد تسمع ، فضغطت زر المصباح ، وتألق النور في الغرفة .

هتفت :

- آه .. أهذه أنت يا مس كلوتيلد ؟

- نعم .. ظننت انك ربما كنت بحاجة إلى شيء .

فصعدتها مس ماربل بعينيها .

كانت ترتدي غلالة حمراء طويلة ، زادت قوامها الفارع طولاً .. وقد انسدل شعرها الأسود الجميل على كتفيها العريضين .. فلم تتمالك مس ماربل من الاعجاب بها ، وان كان مظهرها قد ذكرها على الفور ببطلة إحدى المسرحيات الاغريقية ، بتلك المرأة التي قتلت زوجها في الحمام .

قالت كلوتيلد :

– هل أنت واثقة من انك لست بحاجة إلى شيء ؟

– نعم . شكراً لك

ثم استطردت قائلة بلهجة الاعتذار :

– يؤسفني انني لم أشرب اللبن .

– لماذا بحق السماء ؟

– ظننت انه لا يلائمني ..

فوقفت كلوتيلد بجانب الفراش وحملقت نحوها .. فأكملت مس ماربل عبارتها بقولها :

– من الناحية الصحية ..

فقالت كلوتيلد بخشونة :

– ماذا تعنين ؟.

– أظن انك تعرفين ما أعني . بل لعلك تعرفينه منذ المساء .. وربما قبل ذلك أيضاً .

– لست أفهم شيئاً مما تقولين .

– حقاً ؟

قالت ذلك بصوت يجمع بين السخرية والاستفسار ولكن كلوتيلد تجاهلت السؤال وقالت :

– أظن ان اللبن أصبح بارداً .. سآتيك بكوب آخر .

ومدت يدها وتناولت كوب اللبن فقالت مس ماربل :

– لا تزعجي نفسك ، لأنك لو أحضرت كوباً آخر فلن أشربه .
– الواقع انني لا أفهم ما تعنين .. إنك غريبة الأطوار حقاً . فأية امرأة أنت ؟ ولماذا تتكلمين هكذا من أنت ؟

– إنني أمثل العدالة الالهية التي تبطىء أحياناً ولكنها تأتي في النهاية .
– ما زلت لا أفهم عن أي شيء تتحدثين ..
– عن فتاة جميلة قتلتها .
– فتاة قتلتها ؟
– فتاة تدعى فيريتي .
– ولماذا أقتلها ..
– لأنك كنت تحبينها .
– طبعاً كنت أحبها بل كنت اعبدها .. وكانت بدورها تحبني .
– لقد قال لي بعضهم منذ وقت ليس ببعيد ان الحب كلمة مخيفة.
انك أحببت فيريتي حباً جماً ، وكانت كل شيء في الدنيا بالنسبة اليك ..
وكانت هي بدورها تحبك وتخلص لك إلى أن طرق قلبها حب آخر مختلف تماماً ..

فقد أحبت شاباً لعله لم يكن خير نموذج للشباب ، ولكنها أحبته ، وأحبها وأرادت الخلاص من قيود الحب الذي تعيشه معك لكي تحيا حياتها مع الرجل الذي وقع عليه اختيارها ليكون أباً لأولادها.

فجلست كلوتيلد على مقعد بجوار الفراش وقالت بهدوء :
– يخيل اليّ انك فهمت كل شيء .
– نعم .. لقد فهمت كل شيء .
– ان ما ذكرته صحيح .. ولن انكره . ولا يهم الإنكار او عدمه .
– صدقت .. فلا أهمية للانكار .
– هل يمكنك ان تدركي كم تعذبت ؟

- نعم . أستطيع ان أدرك ذلك .

- هل تدركين مدى شقاء الشخص الذي يعلم انه سيفقد أحب شيء في الدنيا إلى قلبه ؟ ويفقده من أجل شاب منحرف لا أخلاق له ؟ شاب تعس غير جدير بالمخلوقة الجميلة الرائعة التي احببتها اكثر من نفسي ؟

كان لا بد لي أن أمنع هذه الجريمة .

- وهكذا آثرت ان تقتلي الفتاة بدلاً من ان تسمحي لها بالذهاب إلى حيث تريد . قتلتها لأنك أحببتها . .

- أتظنين انه كان في استطاعتي ان افعل شيئاً كهذا ؟ اتظنين انه كان في مقدوري ان اخنق الفتاة التي أحببتها ؟ أتظنين أنه كان في مقدوري أن أهشم رأسها وأشوه وجهها ؟

ذلك لا يفعله إلا رجل فاجر شرير لا يعرف معنى الرحمة .

- نعم ، انني أعلم انك كنت تحبين الفتاة ولا يمكن ان تفعلي ذلك .

- ارأيت ، انك تناقضين نفسك ؟

- انت لم تفعلي ذلك بالفتاة التي كنت تحبينها ، لأن فيريتي ما زالت هنا .. انها في الحديقة واكبر الظن انك لم تخنقيها .. وإنما قدمت اليها قدح قهوة أو كوب لبن به كمية كبيرة من مادة منومة ، ولما ماتت حملتها الى الحديقة ودفنتها تحت انقاض بيت الزهور وغرست فوقها من الأعشاب المتسلقة ما حجبها تماماً

ان فيريتي بقيت معك هنا لأنك أبيت ان تتخلي عنها .

- أيتها الحمقاء . ايتها العجوز الحمقاء .. هل تظنين انك ستغادرين هذا المكان وانت على قيد الحياة لكي تروي هذه القصة .

- انني لست واثقة من ذلك ، خاصة وانك امرأة قوية ، واقوى مني كثيراً ..

- يسرني انك تدركين ذلك .

- وأنت فضلا عن ذلك بلا قلب او ضمير .. اني لاحظت من تجاربي ان

القاتل قلما يقنع بجريمة واحدة .. وأنت قد قتلت فتاتين .. الفتـــاة التي أحببتها ، وفتاة أخرى عداها ..

– هل تعنين نورا برود ؟ انها كانت بغياً بلهاء .. كيف علمت بأمرها ؟

– انني فهمت مما رأيت وسمعت ، إنك لا يمكن أن تقدمي على خنق الفتاة التي أحببتها وتشويه وجهها بتلك الطريقة البشعة ، ثم علمت ان فتـــاة أخرى قد اختفت في ذات الوقت ولم يعثر على جثتها .. وهداني تفكيري الى انـ الجثة التي وجدت ، لا بد انها كانت جثة نورا برود في ثياب فيريتي هانت.. وانك عندما دعيت للتعرف عليها .. اكدت انها جثة فيريتي هانت ..

– ولماذا أفعل أمراً كهذا ؟

– لأنك أردت للشاب الذي انـــتزع منك فيريتي .. الشاب الذي أحب فيريتي وأحبته .. أردت له أن يحاكم بتهمة قتلها .. ولذلك واريت جثـــة فيريتي حيث يتعذر العثور عليها ، وواريت جثة الفتاة الأخرى في ذلك المكان المقفر ، بعد ان شوهت وجهها ، والبستها ثياب فيريتي ، ووضعت معها حقيبة فيريتي ورسالة او رسالتين باسمها ، وسلسلة ذهبية كانت تتحلى بها .

ومنذ اسبوع ، ارتكبت جريمة ثالثة .. هي جريمة قتل اليزابيث تمبل .. قتلتها لأنها جاءت إلى هذه المنطقة ، ولأنك خشيت ان تكون قد تلقت من فيريتي معلومات إذا ضمت إلى ما يعلمه القس برابازون وأمكن أنـ تظهر الحقيقة .

ولما كنت امرأة قوية ، فقد أمكنك انتزاع ذلك الحجر من مكانه والقائه عليها .. ولا بد ان يكون ذلك قد كلفك كثيراً من الجهد .. ولكنك امرأة قوية .

فقالت كلوتيلد :

– نعم .. ومن القوة بحيث استطيع الاجهاز عليك .

– لا أظن انه سيسمح لك بـذلك ..

– ماذا تعنين ايتها العجوز الشمطاء الحقيرة ..
– صحيح اني عجوز شمطاء لا حول لي ولا قوة ولكنني اعتبر نفسي ممثلة للعدالة .
فضحكت كلوتيلد ساخرة وقالت :
– ومن الذي يمنعني من الاجهاز عليك يا ممثلة العدالة ؟
– ملاكي الحارس ..
فضحكت كلوتيلد ساخرة وقالت :
– وهل لك ملاك حارس ؟
وأخذت تدنو منها ، فقالت مس ماربل :
– بل ملاكان حارسان .. إن مستر رافيل يفعل كل شيء دائماً على نطاق واسع .
ومدت يدها تحت وسادتها واخرجت صفارة رفعتها إلى شفتيها ، ودوى الصفير في سكون الليل .. فحدث أمران في وقت واحد ، اذ فتح الباب وظهرت مس بارو على عتبته ..
وفي نفس اللحظة ، فتح دولاب الملابس ، وخرجت منه مس كوك ..
وتقدمت المرأتان وعلى وجهيهما دلائل الجد .. وفي عيونهما نظرة تختلف تماماً عن تلك النظرات البريئة التي رأتها في عيونهما قبل بضع ساعات ..
وهتفت مس ماربل قائلة :
– ملاكان حارسان .. لقد رفع مستر رافيل من قدري وجعل لي من الأهمية أكثر مما أستحق .

الفصل الحادي والعشرون

مس ماربل تروي قصتها

قال وانستيد للعجوز ذات الشعر الأبيض التي تجلس أمامه :

ــ متى اكتشفت أن المرأتين كانتا من الشرطة ، وانهما ما اشتركتا في الرحلة إلا لحمايتك ؟ .

* * *

كانا يجلسان في احد المكاتب الحكومية بلندن ومعهما أربعة أشخاص آخرون هم : أحد كبار الموظفين بمكتب المدعي العام والسير جيمس لويد مساعد مدير اسكتلنديارد ، والسير اندريا ماكنيل مدير سجن مانستون، أما الرابع فكان وزير الداخلية .

وأجابت مس ماربل :

ــ لم أكتشف ذلك الا في الليلة الأخيرة ، عندما حذرتني مس كوك بوضوح من تناول قدح القهوة ، ثم عندما شدت احداهما على يدي وهي تهم بالانصراف ودست فيها الصفارة التي استخدمتها فيما بعد .

ــ ألم تتناولي كوب اللبن ؟ .

ــ كلا طبعاً .. من تظنني ؟ .

- مما يثير دهشتي .. أنك لم تغلقي باب غرفتك .

- لو انني فعلت الكان ذلك خطأ جسيما .. لقد أردت أن تدخل كلوتيلد غرفتي لأرى ماذا ستفعل أو تقول .. كنت واثقة من أنها ستأتي بعد انقضاء الوقت الكافي لتستوثق من أنني شربت اللبن وفقدت الوعي .

- هل ساعدت مس كوك على الأختباء في الدولاب ؟

- كلا . انني دهشت حينما رأيتها تخرج منه .. ويبدو انها توارت فيه عندما خرجت من غرفتي لأذهب إلى الحمام .

- وهل كنت تعلمين انهما في داخل البيت ؟ .

- توقعت بعد الصفارة أن تكونا في مكان قريب ، وأظن انهما لم تجدا صعوبة في التسلل الى داخل البيت ولعلهما فتحتا احدى النوافذ من الداخل خلسة عندما زارتا البيت في المساء . واحدثتا جلبة وهرجا بلا مبرر ..

- انك عرضت نفسك لخطر جسيم يا مس ماربل .

- لا يستطيع الإنسان ان يمضي في الحياة قدماً دون أن يتعرض لأخطار .

- وبهذه المناسبة ... ان فكرتك عن الطرد الذي أرسل إلى الجمعية الخيرية كانت صحيحة .. فقد وجد بداخله ذلك القميص ذو المربعات الحمراء والسوداء ولكن كيف طرأت لك هذه الفكرة ؟ .

- كان واضحاً من وصف جوانا وأملين للقميص ان الغرض من اختيار الوانه الصارخة هو لفت الأنظار .. وكان من المهم والضروري أن يختفي هذا القميص تماماً بحيث لا يعثر له احد على أثر .. وهل هناك طريقة للتخلص منه أفضل من إرساله الى احدى الهيئات الخيرية في مكان بعيد ؟ .

لقد تبلجت هذه الفكرة في ذهني حين رأيت أنثيا تحمل الطرد الى مكتب البريد .

- ومتى بدأت ريبتك في كلوتيلد ؟ .

- حين قالت اليزابيث تمبل أن الفتاة ماتت بسبب الحب ، وقال الأب

برابازون أن مايكل كان مخلصاً في حبه ... وأن العـــاشقين لم يحضرا اليه في الوقت المحدد ، لأن شيئاً اقوى من ارادتهما حـال دون ذلك . وان الموت قد يكون هو الحـائل .. وحين رأيت انقاض بيت من الزهور في ركن الحديقة ، تغطيها تلك النباتات الطفيلية التي تقتل كل ما حولها ولا تترك على سجيتهـا الا لاخفاء منظر يؤذي العيون . ثم حين سمعت عن مدى حب كلوتيلدلربيبتها . تبـادر إلى ذهني على الفور ان ذلك الحب الاناني هو الحب الذي يمكن أن يقتل .. الحب الذي وصفته اليزابيث تمبل بأنه يمكن أن يكون شيئاً مخيفاً .

ـ هل تعلمين ماذا حدث في تلك الليلة بعد انصرافك من البيت القديم ؟ .

ـ تعني ما حدث لكلوتيلد ؟ أعلم أنهـــا اختطفت كوب اللبن المسموم وتجرعته .

ـ هل كنت تتوقعين ذلك ؟ ..

ـ كلا ... ولو قد توقعته لما استطعت أن أفعل شيئـاً .. فقد اختطفت الكوب بسرعة مذهلة .. وتجرعته قبل أن يتمكن أحد من منعها .. واعتقد إنها بذلك قد فعلت الأمر الطبيعي وانها كانت تتوق إلى الفرار من جثة فيريتي التي ظلت تطل عليها من الحديقة وتعذبها كل يوم طوال عشرة أعوام .

ـ تمت ـ

